المشروع الوطني

الكتاب الثاني

السلام من منظورٍ تطبيقي

تأليف

سماحة المرجع الديني آية الله الفقيه

السيد حسين السيد إسماعيل الصدر دام ظله

المشروع الوطني

الكتاب الثاني

السَّلامُ

مِنْ مَنظورٍ تطبيقِي

تأليف

سماحة آيةُ الله الفَقيْه

السَّيِّد حُسين السَّيِّد إسْماعِيل الصَّدْر

-دام ظله-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه المنتجبين

مُقدِّمة

إنَّ التصوُّرات الفكرية لسماحة المرجع الصَّدر (دام ظِلُّه)، على ضوء الأحداث المعاصرة التي يمرُّ بها العراق، تُقدِّم للجمهور منهجاً واضحاً لرسم مَعالِم بناء الإنسان، ومن ثم بناء متطلَّبات حياة الإنسان.

ومن خلال النظرة الشمولية لسماحة المَرجع الصَّدر (دام عِزُّه)، لواقع الحياة العملية، فما بَرِحَ سماحته يُؤكِّد على أحد الأُسس المحورية لبناء حياة إنسانية آمنة ومستقرَّة، ألاَ وهو "السَّلام".

السلام... هو المبدأ الذي يُوصِل الإنسان إلى حياة الاستقرار، مثلما يُوصِله إلى الحياة الأُخروية السعيدة. وكلا الحياتين ستكون في عين الله (سُبْحَانَهُ)، وفي طريق رضا الله (تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

وعندما يعيش الإنسان حياةً آمنةً مستقرَّةً، تتفجَّر كُلُّ طاقاتِه الإبداعية التي أودعها الله (سُبْحَانَهُ) في فِطرة الإنسان السليمة، لِتبدأ عملية الازدهار والتقدُّم والتطوُّر، لِتشمل كلَّ جوانب الحياة المختلفة، حتى يعيش الإنسان حياةً هانئةً هادئةً رغيدةً.

إنَّ سماحة المَرجِع الصَّدْر (دامت بركاته)، تبَنَّى هذا المنظور الإنساني العميق، ودَأَبَ سَمَاحَتُه على تثقيف المجتمع عليه، ليكون مساراً ناضجاً لبناء حياة إنسانية كريمة.

لقد أولى سماحة المَرجِع الصَّدْر (دامت بركاتُه)، جُلَّ اهتمامته لتأسيس (المشروع الوطني). هذا المشروع الذي يحرُص على إصدار سلسلة من الكتُب، تبحث في موضوع السلام، ومباحث أخرى لها علاقة بذلك.

وأوَّلُ كتابٍ صَدَر من هذه السلسلة، يحمل عنوان (السلام مفاهيم وقِيَم)، وبين أياديكم هذا الكتاب الذي يحمل عنوان (السلام من منظور تطبيقي)، وسيكون -(إن شاء الله (تَعَالَى))- الكتاب الثالث، والذي سيحمل عنوان (السلام في مدرسة الإسلام)، ثمَّ يَلِي بعد ذلك كُتُبٌ أُخرى... وَاللهُ (تَعَالَى) من وراءِ القَصْد.

الفصل الأَوَّل

ويتكوَّن من ثلاثة مباحث

المَبحث الأول:

نحو.. سلامٍ داخلي

المَبحث الثاني:

السلام.. يبني أُمَّة

المَبحث الثالث:

أهل السلام.. أنصار الله

الفصل الأَوَّل

المبحث الأول

نحو.. سلامٍ داخلي

نحو.. سلام داخلي

السلام.. سرُّ السعادة

ما أجملَ موضوع السِّلْم والسلام، والتسالم مع النفس، والتسالم مع الإنسان الآخر، والتسالم مع الوجود.

الحقيقة، أنَّ الحديث عن السِّلْم والسلام، يُعطي درجةً من درجات السعادة. الحديث عن السِّلْم والسلام، يُقدِّم لنا صورةً مجتمعيةً إنسانيةً إيمانيةً.

لهذا يُعطينا الحديث عن السلام صورةً جميلةً، صورةً رائعةً، بالتأكيد لا أقول صورة جمهورية أفلاطون، أو صورة المدينة الفاضلة للفارابي، لكن الحديث: كأنَّه وضعَ صورة لبداية مدينة، يتحقَّق بها السِّلْم ولو بحدوده الأُولى أو الدنيا.

وعندما يعمُّ السلام يعيش الإنسان ليس فقط بسعادة، وإنَّما يعيش بأمن وأمان. ويعيش بدرجةٍ من درجات التكافل الاجتماعي، يعيش بدرجة من درجات القِيَم الإنسانية، يعيش ثقافة الوطن والمواطنة (وأيُّ وطن كان) يعيش ثقافة احترام الإنسان، ومن خلال احترام الإنسان، يتعلَّم الإنسان احترام الوجود.

عندما نقول: (احترام الوجود) يعني: احترام مَن في الوجود وما في الوجود، يعني: احترام كلِّ شيء.

إذن، الحديث عن السِّلْم والسلام، يُعطينا صورة لكيفية التعامل مع الآخر، كلٌّ بحسبه، وكلٌّ بما يقتضي، التعامل الصحيح معه. ومن هنا، نُدرِك التعامل الموضوعي، التعامل الوطني، التعامل الإنساني.

يعني: سيكون هناك منطقية في التعامل مع الإنسان الآخر، وكذلك منطقية في التعامل مع الحيوان، ومنطقية وموضوعية في التعامل مع النبات، ومع الماء، ومع الجماد، ومع البيئة.

لهذا نُؤكِّد: إنَّ الحديث عن السِّلْم والسلام يُعطي نوعاً من السعادة. وفي تقديري، أنَّ العمل من أجل السِّلْم والسلام المجتمعي، السِّلْم والسلام الإنساني، يُعطي سعادةً أكبر.. فالإنسان عندما يؤمن بشيء، عندما يعمل من أجل تحقيق شيء، سيشعر بسعادة وراحة بدرجة كبيرة.

وبتقريبٍ آخر: إنَّ تصيير أيِّ فكرةٍ أؤمن بها إلى وجود خارجي، يُعطي الإنسان سعادة، وحتَّى لو كانت فكرة بسيطة وسهلة، فكيف إذا كان الإنسان يُفكِّر ويُؤمن بمبدأ فكرة السلام، الذي هو أساس لسلامة كلِّ الأفكار الأخرى. فهو أساس لعلاقة الإنسان مع اللهﷻ إيمانياً، وعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان بشرياً، وعلاقة الإنسان مع بلده وطنياً.

مبدأ السِّلْم والسلام ينطلق من فكرة المحافظة على الشيء الآخر، فأتعامل مع الإنسان محافظاً على إنسانيتي، وكذلك يكون

تعاملي مع بقية المُفردات: أتعامل مع الحيوان مُحافظاً على حيوانيته، أتعامل مع النبات محافظاً على نباتيته وخصائصه، وهكذا تعاملي مع الماء محافظاً عليه، ومع البيئة محافظاً عليها وعلى سلامتها، ومحافظاً على التوازن في هذا الكون، من ضرورة وجود إنسان وجماد وماء، وهذه النسبة كيف أنَّها نسبة أساسية في سلامة الوجود.

فعمل الإنسان بقِيَم السلام سيُكسِبه المزيد من السعادة. فسعادة الحديث والكلام والكتابة درجة. وسعادة العمل من أجل السلام درجة أعلى. وسعادة رؤية حامل ثقافة السلام، تكون أعلى من سابقتها وإنَّ الثقافة والنظرية والفكرة صار لها وجود خارجي، وصار لها مصاديق حياتية في دنيا الإنسان. بالتأكيد أنَّ ذلك سيعطي الإنسان المزيد والمزيد من السعادة.

كلُّ هذه السعادة لا يمكن أن تتمَّ، ولا يمكن أن تحصل، إلاَّ إذا كان الإنسان مؤمناً بثقافة السلام، مؤمناً بفكرة السلام.. فبمقدار إيمانه، سيتمكَّن أن يتحدَّث ويكتب، وبمقدار الوضوح الذي يعيشه نتيجة إيمانه بالسلام، سيتمكَّن أن يعمل، وبمقدار عمله مع الإخلاص سيثمر ويرى وجودات ومصاديق خارجية للسِّلْم والسلام.

لكن كلَّ ذلك أساسه: السلام مع النفس، لأنَّ القاعدة تقول والتي نؤمن بصحتها: (فاقد الشيء لا يعطيه).

إذن، لابدَّ أن نؤمن بها، أي بفكرة السلام، وأهمية السلام،

وضرورة السلام، بعد ذلك نعمل من أجل إشاعة ثقافة السلام، عن طريق القول والحديث، وبعد ذلك نحاول أن نُصيِّر الفكرة التي انتقلت إلى حديث وقول، نُصيِّرها إلى برنامج، فنكتب ذلك.

كلُّ فكرة يتحدَّث بها صاحبها، ومن ثمَّ يكتبها، تكون وكأنَّها برنامج عمل لتطبيق الفكرة، أو ممكن أن نُسمِّيها: تمرحل التطبيق، أو محطات تطبيقية على هيئة مراحل. كيف أنَّ الولادة مرَّت بمحطاتٍ، أوَّلها الجانب النفسي، (الإيمان الداخلي)، وبعدها انتقلت إلى المحطة الأخرى وهي: القول والكلام، وبعدها تبلورت أكثر إلى أن وصلت إلى الكتابة. وهي محاولةٌ منهجيةٌ التي تمنهج الفكرة. كذلك في حالة التطبيق، وهي: الدرجة العالية من الإيمان بالسلام حيث يحتاج إلى منهجية.

أساس كلِّ ذلك هو: جانب الإيمان النفسي، ولهذا الآية القرآنية تقول:-

﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾

المطلوب منَّا كمؤمنين: أن نزرع السلام في أنفسنا، وأن نعيش ثقافة السِّلْم وأن نزرع السلام في داخلنا.

حتَّى لا يكون سلامنا.. مهزوزاً

اليوم: ونتيجةً لقوةِ وإلحاحِ الجانب المادي في حياة الإنسان، نرى في الكثير من المَجتمعات، سيطرة الجانب المادي على حياة

الإنسان وكلما سيطر الجانب المادي، تكون القِيَم ضعيفة، وترتفع نسبة (الأنا والذات)، أو الاهتمام بالأنوية.

بالتأكيد، نحن لا نُنكِر أهمية الجانب المادي في الحياة، فهو مسألة أساسية وضرورية، وهو ضمن نصيب الإنسان في الحياة الدنيا، والذي عبَّرت عنه الآية الكريمة:-

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١]

إذن، مسألة المادة مسألة أساسية في الحياة، ولكلِّ إنسان نصيبه في الحياة، ولهذا رسول الإسلام، النَّبيُّ محمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في ذلك:-

﴿اعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنَّك تموت غدا﴾

والأئمَّة الطاهرون المعصومون(عليهم السلام) يقولون:-

﴿ليس منَّا من ترك آخرته لدنياه، ولا دنياه لآخرته﴾ [٢]

إذن، الجانب المادي مسألة مهمَّة في حياة الإنسان، ولولا أهمية الجانب المادي في حياة الإنسان، لَمَا قال أبو ذرؓ: (عجِبْتُ لِمَن لا يجد قوت يومه، كيف لا يخرج إلى الناس شاهراً سيفه)[٣]

---

[١] سورة القصص/آية/٧٧.

[٢] المصدر: الدرر النجفية/المحقق البحراني/ج٤ص١٠٥.

[٣] لقد شيَّعني الحسينؑ/إدريس الحسيني المغربي/ص١٩٥.

وقول رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):-

﴿لولا رحمة ربّي على فقراء أُمّتي ،كاد الفقر أن يكون كفراً﴾ [1]

فالإنسان غير المؤمن قد يكفر بكلِّ القِيَم، نتيجة جوعه وفقره وحاجته للأمور الضرورية في حياته.

إذن نحن نقول بأهمية الجانب المادي، ولكن نقول: المفروض ألاَّ يكون هو كلَّ شيء في الحياة، وألاَّ يكون هو المسيطر على منطلقات الإنسان وأهدافه، وإنَّما يأخذ حَيِّزه في حياة الإنسان بشكل متوازن.

لأنَّ الجانب المادي إذا سيطر على الإنسان وعلى تفكيره وعلى داخله، وسيطر على قوله ولسانه، سوف يسيطر على سلوكه وأخلاقه، عند ذلك سيضع القِيَم جانباً، وسيُهمِّش القِيَم كلَّها، ومنها: السِّلْم والسلام، وعند ذلك يتكالب على الدنيا... لا مانع من السعادة في الدنيا، ولكن لا على حساب نفسك، ولا على حساب الآخرين.

لهذا، فالمنهج الإلهي دائماً يُحثُّنا على أمور، ويمنعنا من أمور، ولكن من أجل ماذا؟!..

من أجل الإنسان نفسه، وألاَّ تكون لذَّته المادية على حساب سعادته، على حساب صحته، على حساب تعلُّمه. لا تكون سعادته الظاهرية لا على حساب نفسه، ولا على حساب الآخرين.

---

[1] المكتبة الشيعية/جامع الأخبار ٣٠٠/٨١٧.

إنَّ سيطرة المادة على الإنسان أكثر من اللازم، تجعله يفكر في نفسه وفي ذاته أكثر ممَّا يفكِّر في سلامة نفسه، وأكثر ممَّا يُفكِّر في سلامة مجتمعه، وأكثر ممَّا يُفكِّر في سلامة وطنه، وأكثر ممَّا يفكِّر في سلامة الإنسان الآخر.

بالتأكيد أنَّ هذا الموضوع ليس هو موضوع بحثنا ودراستنا، ولكن أتينا عليه من باب الاستطراد، فسيطرة الجانب المادي على الإنسان تفقده الكثير من إنسانيته، وترتفع لديه مشاعر الأنا والذات والمصلحة الخاصَّة.

لهذا، وعلى سبيل المثال: الإسلام منعَ المجتمع الصالح، المجتمع المؤمن من جميع المعاملات الرِّبَوية، لأنَّ فيها تكريس لثقافة المادة، وكَسْب المادة على حساب الآخرين، وكَسْب المادة من دون عمل.. فالإسلام دائماً يريد كسب المادة بمصادر محلَّلة وبعمل مُنتِج. ويريد كَسْب المادة مع عدم الإضرار بالآخرين... مع عدم الإضرار بالإنسان الآخر، فرداً وجماعةً.

لهذا الإسلام يُؤكِّد عن طريق تعاليم القرآن الكريم: أنَّ مُنطلَق السلام لابدَّ أن يكون من الداخل، وبمقدار ما يعيشه الإنسان في داخله، يتمكَّن أن يتحدَّث ويتكلم به. وبمقدار ما يكون عنده وضوح في كلامه، يتمكَّن أن يترجم كلامه إلى كتابة، وبمقدار ما يحسن كتابة هذا الموضوع، سيتمكَّن أن يُبَوِّبَه، وأن يُمَرْحِلَه، ويجعله بعد ذلك برنامجاً له وللآخرين.

له: من أجل بناء نفسه بشكل سليم.

للآخرين، لأنَّه أولاً: يشعر بالمسؤولية تجاه الآخرين، فهو جزء منهم، وهم أجزاء معه لجسم واحد، يقول النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿كلُّكم لآدم وآدم من تراب﴾

يعني: كلُّ أبناء آدم جسم واحد، وآدم هو الأصل والمصدر لكلِّ البشرية.

إذن، هو جزء من هذا الجسم الإنساني البشري، الجزء لا يكمل إلاَّ بتكامل الجسم، إذن لابدَّ أن يعمل من أجل أن يكون الجسم كلُّه سليماً وكاملاً أو أنَّه يتكامل.

الشعور بالمسؤولية من دون درجة من درجات الحبِّ للآخر، لا يمكن أن يكون.. إذن، من يشعر بالمسؤولية تجاه الإنسان الآخر (فردًا وجماعةً) ناطقاً وغير ناطق، نباتاً وجماداً، ماءً وهواءً، هو الإنسان الجدير بإنسانيته.

لهذا أعلى درجات الإنسان الإلهي: النبيُّ الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، والمرسلون والأنبياء والأئمَّة(عليهم السلام).

أبو الأئمَّة الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، نتيجة إيمانه بالله(سبحانه وتعالى) وحبِّه لله(سبحانه وتعالى) أحبَّ كلَّ الوجود، أحبَّ الكون كلَّه، نتيجة حبِّه لهذا الكون وهذا الوجود، يقول (عليه الصلاة والسلام):-

﴿أرى الله في كلِّ شيء، وقبل كلِّ شيء، وبعد كلِّ شيء﴾

إذن، بمقدار إيمانه يكون محبَّاً لله ﷻ، وبمقدار حبِّه لله ﷻ نتيجة إيمانه، سيحبُّ الوجود وما فيه ومَن فيه، بمقدار حبِّه يعمل من أجل سلامته، يعني: يعمل من أجل السِّلْم والسلامة (الشعور بالمسؤولية جزء من السلام، وليس كلٌّ).. ولهذا نرى أنَّ الآية الكريمة تُؤكِّد على ضرورة وأهمية سلام الإنسان في داخله.

من أجل التقريب نقول: أنَّ داخل الإنسان كجذور الشجرة، سواءاً كانت شجرة كبيرة كالنخلة، أو أشجار صغار، ولكن الجذور لابدَّ أن تكون في داخل الإنسان، دائماً الماء من أين يأتي إلى الشجرة، عن طريق الجذور.

كذلك مقدار إيمانه بالفكرة سيعطي القوة للجذور، ويسقيها من طاقاته، من قدراته، من إمكانياته، من ماله، من علمه، من جاهه.

إذن دائماً التربة يكون فيها قابليات أن تعطي هذه المكونات، بالنسبة إلى الفكرة فهي داخل الإنسان، داخل قلبه ونفسه وروحه وعقله، فهي الأرضية للفكرة، فبها تكون الجذور.. إذن لابدَّ أن تكون الأرضية صالحة وقويَّة ومتينة، من أجل أن تكون الشجرة راكزة وبعد ذلك تنمو وبقوة.

عندما أتينا بهذا المثال، لأنَّنا نؤمن أنَّ كلَّ شجرة تأتي عليها عواصف، ويمكن أن تأتي عليها تيارات من الهواء، ولكن بمقدار قوة جذورها في الأرض، تبقى صامدة وتبقى قويَّة. وبمقدار صلاحية الأرض المزورعة فيها، ستُعطيها قوة للاستمرارية، وبقاء

الحياة فيها.

كذلك الفكرة عند الإنسان، بمقدار إيمانه الداخلي بها، ستكون قويَّة في لسانه، وقويَّة في قلمه، وقويَّة في عمله.

ولهذا تُؤكِّد الآية القرآنية:-

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[١]

عندما مثَّلنا داخل الإنسان بالشجرة والجذور، ممكن أن تكون هذه الجذور الرئيسية للشجرة، **(تَحِيَّةً)** من أجل إحيائها ونموها، حتَّى تكبر **(مُبَارَكَةً)** لأنَّ العمل المخلص يكون مُباركاً من قِبَل الله ﷻ، وإذا كان مُباركاً سيُثمِر، وستكون ثمراته طيِّبة.

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾

إذن، المطلوب من الإنسان: أن يُحقِّق السِّلْم مع نفسه قبل كلِّ شيء. المطلوب من الإنسان: أن يكون مؤمناً بالسِّلْم والسلام، كإيمانه بالله ﷻ، لأنَّ الله ﷻ أمره بذلك، بقوله (تعالى):-

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢]

الدخول في السِّلْم يعني: الإيمان بالسِّلْم والسلام.. الدخول في السِّلْم يعني: أن يكون داخلي، حتى يعيش الإنسان السِّلْم والسلام في داخله.. الدخول في السِّلْم يعني: رفع شعار السِّلْم والسلام..

---

[١] سورة النور/آية/٦١.

[٢] سورة البقرة/آية/٢٠٨.

الدخول في السِّلْم يعني: أُفَعِّل طاقاتي -(ومنها الكتابة)- في السِّلْم والسلام، بعد ذلك أُفَعِّل طاقاتي سواءاً من علم أو مال أو جاه من أجل السِّلْم والسلام.

من أمثلة.. السلام العملي

من أجل أن يعيش الإنسان حالة السِّلْم، بالتأكيد سيترجمه في عمله، وأول ترجمة له في عمله: هو في علاقته مع الإنسان الآخر ومكانة الإنسان، فالذي لا يقدِّر مكانة الإنسان لا يُقدِّر الإنسان، والإسلام جعل ضرورة وأهمية الاحترام والسلام ما بين الإنسان والإنسان الآخر، سواءاً في حياته أو حتَّى بعد موته.

من هذا الأدب، وضمن مفردات هذه الثقافة الإلهية الإيمانية الإنسانية للفرد وللمجتمع: يقول (سبحانه وتعالى) كما وَرَدَ في سورة النور:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]

(وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا): كأنَّ المنهج الإلهي يريد أن يعطي حصانة للإنسان القادم، وحصانة للإنسان المقصود، أو الزائر والمزار، الضيف والمُضيِّف، ولهذا من احترام الإنسان: أن تحترم

[1] سورة النور/آية/٢٧.

مكانه، ومن احترام الإنسان: أن تحترم بيته، ومن احترام الإنسان: أن تحترم غرفته، سواءاً كان في بيته أو كان في دائرته، في عمله، في مصنعه، في أرضه.

لهذا يُؤكِّد الإسلام: على أنَّه لا يمكن أن ندخل البيوت من دون أن نستأذن، حتَّى لو كانت مفتوحة، يمكن في أزمنة ماضية لم تكن هناك أبواب، ولهذا وَرَدَ في بعض الأحاديث: أنَّ الاستئذان عبارة عن التنحنح.. وَرَدَت روايات: أنَّ الاستئذان عبارة عن رفع الصوت ببعض الأذكار كـ(يا الله، يا الله، يا الله)، كما أنَّه وَرَدَت عبارات بشكل آخر: أنَّ الاستئذان عبارة عن صوت القدم أو صوت المسير من أجل أن تُشعِر مَن في الخيمة أو مَن في البيت أنَّ هناك قادماً.

بالتأكيد بالنسبة لهذا الوقت هناك أبواب للبيوت في مجتمعاتنا، إمَّا أن تُطرَق هذه الأبواب وإمَّا أنَّ هناك الأجراس الكهربائية، أو ما شابه وشاكل ذلك.

ولكن من أجل ألاَّ تحصل حالات غير طبيعية، غير إنسانية، يبتعد الإنسان فيها عن تقدير نفسه وعن تقدير الآخرين، لابدَّ أن يستأذن، بذلك يُبعد نفسه عن الكثير من السلبيات، وكذلك يبعد مَن يدخل عليه عن الكثير من الإحراجات.

الإسلام يريد منَّا ومن كلِّ تصرفاتنا أن تكون تصرفات توصلنا إلى السِّلْم والتسالم، السِّلْم والسلام، وليس تصرفات من شأنها أن توصلنا إلى نزاعات أو إلى خلافات أو إلى تشاجرات معيَّنة.

فهي احترام الإنسان لنفسه، واحترام الإنسان للوجود كلِّه وما فيه، ومنه هذا البيت الذي هو نوع من أنواع الحجارة.

هناك معنى آخر: هناك خصوصية ما بين المكان والمكين، خصوصية ما بين البيت وما بين مَن يسكُنُ في البيت، وكأنَّ الإسلام يريد أن يقول: أنَّ هذه الخصوصية يجب أن تُراعى، هذه الخصوصية يجب أن تُحفظ، من أجل أن يبقى السلام والسِّلْم والتعايش السِّلْمي المجتمعي، بشكل دائم وبشكل مستمر، وأن تكون ثقافة حياتية، وأن نبني أنفسنا ونبني المجتمع، من أجل أن نُحقِّق حياة سِلْم وسلام، من أجل أن نُحقِّق حياة تعايش سِلْمي.

كأنَّ هذا العمل وحمل هذه الفكرة بصيغتها الإصلاحية وبصيغتها الإنسانية والمُصَمَّمة من أجل بناء الإنسان وبناء المجتمع وبناء الحياة، هذا جزء من مسألة الإيمان، ولهذا الآية الكريمة تبدأ:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾

دائماً المطلوب الإلهي: أن يكون إيماننا إيماناً عملياً، إيماناً حياتياً، إيماناً أخلاقياً، إيماناً علمياً من أجل صالح الإنسان وصالح المجتمع، وبذلك ابتدأت الآية الكريمة:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾[١]

كأنَّ مسألة عدم الدخول إلى البيوت، وضرورة الاستئذان مِمَّن فيها، وتنبيه مَن فيها، مسألة أساسية ضمن إيمان الإنسان، وعلى العموم تكريم الإنسان لأخيه الإنسان مسألة أساسية في الإيمان، وأساسية في الإنسانية، وأساسية في الوطنية.. فلا يمكن أن نترجم إيماننا إلاَّ باحترام الإنسان لأخيه الإنسان، ولا يمكن أن نترجم إنسانيتنا إلاَّ باحترام الإنسان لأخيه الإنسان، ولا يمكن أن نُجسِّد هويتنا إلاَّ باحترامنا لأوطاننا.. فبذلك نُجسِّد وطنيتنا، والنتيجة: نصل إلى تعايش سِلْمي وإلى ثقافة السِّلْم والسلام.

[١] سورة النور/آية/٢٧.

الفصل الأَوَّل

المبحث الثاني

السلام.. يبني أُمَّةً

السلام.. يبني أُمَّةً

عندما نُدرِك إلى أنَّ الإسلام العظيم يريد من المجتمعات -(أفراداً وجماعات)- أن يكونوا حَمَلَةً للسِّلْم والسلام، بعد أن يكونوا مؤمنين به في داخلهم، بعد أن يعيشوا حالة السلام ما بينهم وبين أنفسهم، ذلك من أجل أمور هي:

١.تحقيق الأمن

٢.تحقيق الاستقرار

٣.بناء الأوطان

٤.التطوُّر في جميع مناحي الحياة.

إنَّ تأكيد الشريعة المقدَّسة، وتأكيد الإسلام في رسالته الإسلامية، على ذلك ليس اعتباطاً، وإنَّما من أجل بناءٍ فردي سليم، وبناءٍ مجتمعي سليم.

النفس.. ما بين التعليم و التربية

من هذه الأمور التي من أجلها أكَّد الإسلام على أن يعيش الإنسان أولاً السلام مع نفسه: هو ضرورة تربية الإنسان لنفسه، لأنَّه مقابل ذلك نرى الكثير من أفراد مجتمعاتنا غير مُلتفتين إلى تربية أنفسهم.. فهناك (وكما يعلم الجميع) تربية، وهناك تعليم،

الذي نريد أن نُؤكِّد عليه: أنَّ هناك مَن يلتفت إلى تعليم نفسه، لكن نرى القلَّة ممَّن يلتفت إلى تربية نفسه، فدائماً مسألة التعليم والوصول إلى درجة من درجات العلم مسألة أساسية ورئيسية، وضرورة إيمانية ووطنية وإنسانية.. بل هي ضرورة حياتية، فلا حياة من دون علم، والله ﷻ يقول:-

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]

والأمر الإلهي على لسان النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿اطلب العلم من المهد إلى اللحد﴾

وكذلك:-

﴿طلب العلم فريضة على كلّ مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة﴾

ولكن نقول: إنَّ طلب العلم لابدَّ أن يقترن مع تربية.. وهناك تربيتان:

تربية داخلية: وهي تربية الإنسان لنفسه، وبالتعبير الديني: التربية هي: المحاسبة والترويض.. وبالتعبير الحديث هي: تطوير النفس، تكامل النفس، التنمية البشرية.

تربية خارجية: وهي التي تتجسَّد في تعامل الإنسان مع الموجودات وخصوصاً مع أخيه الإنسان، ولهذا، مَن نراه يتعامل تعاملاً جيِّداً مع الآخر، نقول: إنَّ تربيته جيِّدة.. والتربية الخارجية

---

[1] سورة المجادلة/آية/١١.

دائماً هي تستند على التربية الداخلية.. من الممكن أن يكون شخص آخر متعلِّماً تعليماً جيِّداً ولكنَّه فاقد للتربية.. التعليم يعطينا علماً، والتربية تعطينا قِيَماً، والإسلام يريد منَّا:

أولاً: أنَّ نحمل العلم مع قِيَم، ولهذا أراد الإسلام منَّا أن نعيش مسألة السِّلْم والسلام وصولاً إلى التعايش السِّلْمي، بعد تربيتنا لأنفسنا، أن نعيش ذلك بعد قناعة في دواخلنا.

ثانياً: دائماً العمل إذا كان بقناعة داخلية، فيكون من شأنه الاستمرار والبقاء، بعكس ما يكون نتيجة لقناعات طارئة، أو قناعات آنية، أو ما تُسمَّى بردود فعل، فهذه من شأنها عدم القوة في الاستمرار، كما أنَّه إذا كانت القناعة وقتية سيكون العمل وقتياً، أمَّا إذا كانت القناعة نابعة عن تربية على القِيَم، وقناعة يعيشها الإنسان في داخله، سيكون العمل بها مستمراً.

والمطلوب من مفردة السِّلْم والسلام: أن تكون مفردة مستمرة، وليس مفردة وقتية، آنية، لظروف خاصَّة، لحالات طارئة، يعيشها الفرد أو تعيشها المجموعة، وإنَّما المطلوب: أن تكون هي منهج حياة، والمطلوب: أن تكون سلوك فرد ومجتمع وشعب وأُمَّة، يعني ذلك: لابدَّ أن تكون قناعات راسخة، ذاتية، وذلك بالتربية السليمة لأنفسنا.

ثالثاً: التربية السليمة لا يمكن أن تكون إلاَّ بالتمسُّك بالقِيَم النبيلة والسليمة، كما يُقرِّب ذلك الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب عليه السلام عندما يقول لولده الإمام الحسن عليه السلام:-

﴿إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقيَ فيها من شيء قبلته.. فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبُّك﴾

يعني: وجدتك كالأرض التي تحمل كلَّ قابليات العطاء، والتي تحمل كلَّ قابليات الإثمار. النفس أرض صالحة يُزرَع فيها ما يراد منها. ولهذا يقول له: فبادرتُك بالأدب، وكيفما يُزرَع في الأرض تُنتِج، كذلك النفس كالأرض كلما يُزرَع فيها تُنتِج، كيفما تُغذَّى، تُعطي.

لهذا، الإسلام يريد منَّا: أن نُغذِّي أنفسنا من أجل أن نُربِّيَها التربية السليمة.

الأرض... ممكن أن يُبذَر فيها بذور الثمار الطيِّبة اللذيذة النافعة، وممكن أن يُبذَر في الأرض بذور المُخَدِّرات، وما شابه وشاكل ذلك.

فكذلك النفس تحتاج دائماً إلى تغذية سليمة، يعني: تغذية بالقِيَم الإلهية الإيمانية الوطنية الإنسانية، وعلى رأسها: مفردة السِّلْم والسلام.

لا ازدواجية.. إذا انتشر السلام

رابعاً: عندما تكون ثقافة السِّلْم والسلام مسألة ضمن قِيَم

الإنسان التي يحملها في داخله، سيكون جدِّياً في تطبيقها، ويعمل من أجل وضع خطة طويلة المدى، أو ما تُسمَّى بـ(الاستراتيجية البعيدة)، ولهذا ستكون لها نتائج.

بعكس ما إذا كان قد حَمَل مفردة السِّلْم والسلام من دون قناعة وتربية داخلية، ولم يَعِشِ السلام مع نفسه، سيحملها لمصالحه، وللرغبات في داخله، ولأهداف خاصَّة وليس لمصلحة عامَّة.. سيحملها ليس حبَّاً وإيماناً بها، وإنَّما حبَّاً لذاته ولمصلحته، وإيماناً من أنَّ مصلحته تتوقف على طرح هذه الفكرة أو تلك.

كما نرى ذلك عند بعض السياسيين هنا وهناك، يطرحون فكرة أو ثقافة أو مبدأ السِّلْم والسلام، ولكنهم يطرحونه من دون قِيَمِهم، وبذلك يكون طرحهم وقتياً. لأنَّ الشخص عندما يؤمن بمسألة لا يمكن أن يكون طرحه لها بفترة دون أخرى، أو بمكان دون آخر، أو بزمان دون ثانٍ.

أمَّا عندما لا يؤمن بها، ويكون طرحه نتيجة مصالح معيَّنة وأهداف خاصَّة، يطرحها في فترة ويستثني عنها في فترة أخرى.. وبذلك تنتج سلبيتان:

السلبية الأولى: عدم استمرارية وجود المبدأ الثقافي الأخلاقي الإيماني الإنساني الوطني في المجتمع.

السلبية الثانية: حصول الازدواجية فيما يطرح. فهو كان يطرح السِّلْم، بعد ذلك يعمل خلاف ما طرح من مفهوم وثقافة ومبدأ

السِّلْم والسلام. ونرى في بعض الأوقات: كان بعيداً عن السِّلْم والسلام.. ولكن بعد ذلك، نتيجةً لظروفٍ معيَّنةٍ، أخذ يتكلَّم بالسِّلْم والسلام. أو أنَّه تكلَّم بالسِّلْم والسلام فترة، وبعد ذلك ذهب إلى وضع آخر بعيداً عن كلِّ القِيَم الإنسانية وبعيداً عن ثقافة السِّلْم والسلام. وهذا يعني: الاثنينية، يعني: الازدواجية، يعني: اللسانين، يعني: الوجهين، والإسلام -(دائماً)- لا يريد لأتباعه إيمانياً وإنسانياً أن يعيشوا الازدواجية، ولهذا يقول (سبحانه وتعالى):-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[1]

ويُؤكِّد على ذلك عندما يقول (سبحانه وتعالى):-

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[2]

يعني: هذا الإنسان يفقد إنسانيته، ولهذا يكون ممقوتاً عند الله ﷻ. والحال: أنَّ الأصل: الله ﷻ يحبُّ الإنسان لأنَّه خَلْقه، لأنَّه خليفته، ولكن عندما يرى عمله فإنَّه يمقت عمله. والإنسان يقرب ويبعد عن الله ﷻ بعمله، والإسلام دائماً يريد أن يبعدنا عن الإزدواجية والإثنينية من أجل أن يكون لنا مصداقية في حياتنا، وأن نتمكَّن من أن نبني أنفسنا، ونتيجة بناء أنفسنا نبني مجتمعنا وشعوبنا، وبالنتيجة: نبني حياتنا.

أمَّا إذا عشنا (كأفراد أو جماعات) الازدواجية فهذا معناه:

---

[1] سورة الصف/آية/(٢-٣).

[2] سورة الصف/آية/(٢-٣).

نحن مهزوزون كأفراد وكمجتمعات، وما نراه في الكثير من مجتمعاتنا من سلبيات هي نتيجة بعض مَن يعيش الازدواجية والاثنينية والمصلحية والولاءات المحدَّدة وليست الولاءات الوطنية العامَّة، وليست الولاءات الإيمانية السليمة، وليست المفاهيم الإنسانية الحياتية.

كلُّ ذلك من أجل التأكيد: على أنَّ مبدأ السِّلْم والسلام لابدَّ أن يكون نتيجة تربية داخلية، وقناعة ذاتية، هذه التربية الداخلية والقناعة الذاتية (مع استمرارنا مع الآية الكريمة) نرى دائماً أنَّها تحتاج إلى تذكير للنفس بها.

يُمكِن أنَّ الظروف التي تحيط بالإنسان في كثير من الأوقات، في كثير من المجتمعات، من شأنها أن تُبعد البعض عن بعض قِيَمه.

لهذا تحتاج النفس إلى تذكير مستمر، إلى تنبيه مستمر، من أجل أن ترجع إلى قناعاتها، ترجع إلى تربيتها، ترجع إلى القِيَم السليمة الموجودة في داخلها.

كأنَّ الإسلام يريد أن يقول: حتَّى مع وجود القِيَم السليمة التي يُؤمن بها الإنسان، ولكن مع ذلك نحتاج إلى مسألة التأكيد، ضرورة التأكيد وضرورة التنبيه، من أجل حماية النفس من التَّلَوُّثِ بأيِّ شيءٍ من المُلوِّثات الخارجية. حتَّى تعود إلى صفائها، إلى طهارتها، إلى ثقافتها، إلى قِيَمها، إلى مفهوم السِّلْم والسلام بشكله

العملي، ولهذا تقول الآية من أجل تنبيه النفس وباستمرار:-

﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾[١]

وكأنَّ الآية تريد أن تقول: أنَّك أيَّها الإنسان (دائماً) أَكِّد على نفسك أنَّ قيمتها الأساسية والرئيسية في القِيَم التي تحملها والتي منها: السِّلم والسلام، وهذه القيمة لابدَّ ألاَّ تفارقها.

كأنَّ الآية تريد أن تقول ثانية: أنَّ النفس يمكن أن تكون بحالات استثنائية: غضب، ردود فعل، سلبيات معيَّنة، ولكن المفروض ألاَّ تخرج عن القاعدة الأساسية التي آمنت بها التي هي: السِّلْم والسلام، ومن أجل أن تبقى هذه المفردة المقدَّسة، لأنَّها اسم من أسماء الله ﷻ، تبقى مفردة قويَّة في داخل الإنسان وفي تربيته، وفي حَمْله للقِيَم، وحَمْله للمسؤولية وتواصله مع هذه القيمة.

ما هو المطلوب.. من الناس كافَّة؟!..

خامساً: إنَّ مَن يؤمن بالسِّلْم والسلام نتيجة تربيته لنفسه، دائماً يكون قادراً على تطوير عملية السِّلْم والسلام، وليس فقط استمراريتها، وإنَّما يعمل من أجل أن تأخذ مساحة أفقية وعمودية أكثر. من أجل أن تعمَّ مساحة أكبر من الوجود وعدد الإنسان يكون فيها أكثر. أو نقول: مساحة من الوجود أكبر أرضاً وإنساناً.

دائماً مَن يؤمن إيماناً داخلياً بقضية وبثقافة وبمفهوم، نتيجة

---

[١] سورة النور/آية/٦١.

تربيته لنفسه، يعمل من أجل تطويره وتنميته. فالذي يعمل بمسألة من دون وجود ثقافة في داخله، وقناعة ذاتية في نفسه، يكون عمله فقط لأداء الواجب كما يتصور. كالذي يصلي ولا يفكر في صلاته، يمكن أنَّ اللهﷻ لا يحاسبه على ترك الصلاة أو عدم تركه للصلاة، ولكن هذه الصلاة لا تعطيه تربية، لأنَّه كان ساهياً في صلاته (ذكرنا ذلك من باب التقريب).

كذلك أيٌّ عمل من القِيَم الإلهية والإنسانية والوطنية نقوم به: مرة نقوم به نتيجة قناعتنا وتربيتنا لأنفسنا على هذه القِيَم، وقناعة أنفسنا بها، ومرة نقوم بها نتيجة إسقاط واجب. ويمكِن حصْر الموضوع بحالتين:

الحالة الأولى: من شأنها أن يعمل الإنسان على توسيعها وتطويرها وتنميتها.

الحالة الثانية: يقتصر الإنسان فيها على الحدِّ الأدنى منها.

والإسلام يريد لنا ومنَّا: أن نحمل ثقافة السِّلْم والسلام، ونعمل من أجل تطويرها، نعمل من أجل تبنِّيها وإشاعتها في المجتمع.

لهذا دائماً نُؤكِّد على أنَّ المطلوب الإلهي: هو أن يصل الفرد والجماعة إلى درجة الاستجابة، ونفسِّر الاستجابة بتبنِّي المنهج وليس التنفيذ فقط.

فهناك عبودية وهي تكوينية ليس لنا فيها دخل، ولكن الطاعة بعد العبودية، التي لنا دخل فيها. الإنسان هو مختار أن يطيع أو لا

يطيع، ولهذا إن أطاع فله أجر وثواب ولطف من اللهﷻ، وإن عصى فيستحقُّ ما وعدَه اللهﷻ به.

إذن: عبودية، ثمَّ طاعة، ثمَّ محبَّة، ثمَّ استجابة.. الطاعة عندما تكون طاعة واعية توصل الإنسان إلى محبَّة. وعندما يصل الإنسان إلى محبَّة (يعني: محبَّة اللهﷻ أولاً، ومن ثمَّ محبَّة الإنسان) فمَن أحبَّ اللهﷻ لابدَّ أن يحبَّ الإنسان. بعد أن يصل الإنسان إلى درجة المحبَّة، عند ذلك يصل إلى درجة الاستجابة، يعني: نتيجة حبِّه للهﷻ بعد طاعته، يتبنَّى المنهج الإلهي، يتبنَّى القِيَم الإلهية الإنسانية، وعلى رأسها: مفردة السِّلْم والسلام.. فالسلام (وكما بيَّنَّا مراراً) هو اسْمٌ من أسماء الله، والآية الكريمة تقول:-

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]

ويأمرنا (سبحانه وتعالى) إلى أن نقصد دائماً دار السلام، ويقول في الآية الكريمة:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]

فمرَّةً أَمَرَنا بالدخول إلى السلام، وأن نسعى إلى دار السلام، ومرَّةً يقول للذين آمنوا باللهﷻ: ضرورة الاستجابة إلى التربية الإلهية.

---

[1] سورة البقرة/آية/٢٠٨.

[2] سورة الأنفال/آية/٢٤.

إذن، الاستجابة تعني: تبنِّي الرسالة الإلهية، تبنِّي القِيَم الإلهية. والتبنِّي يعني: أن يتبنَّى الإنسان القِيَم في داخله، وأن يعمل بها في خارجه، قولاً وعملاً وسلوكاً. وأن يعمل من أجل تطوير تلك القِيَم وتنميتها، وأن يعمل من أجل اتِّساعها.. ولهذا يُؤكِّد الإسلام على مسألة: أن يبدأ السِّلْم والسلام من الداخل.

﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]

(تَحِيَّةً) أكَّدنا أنَّ موضوع التحيَّة يعني: حياة النفس بهذه المفردة الإلهية الإنسانية.

(مُبَارَكَةً) باعتبار أنَّ كلَّ عمل إذا كان متعلِّقاً مع الله ﷻ، فيكون:

أولاً: عبادة.

ثانياً: يكون له إمدادات إلهية.

ثالثاً: يكون نتيجة إخلاص العبد.. ودائماً الإخلاص يعني: بذْل كلِّ ما لديه من طاقات وقابليات. عندما يُخلِص الإنسان في أيِّ عمل سيجمِّع كلَّ ما لديه من قابليات من أجل الوصول إلى هدفه.. فإذا كان العمل لوجه الله ﷻ، لابدَّ أن يكون أساسه الإخلاص، وإذا كان أساسه الإخلاص، يعني ذلك: شَحْذ الهِمَم وبشكل مستمر من أجل هدفه.. ولهذا يكون عمله وتربيته مباركة.

---

(١) سورة النور/آية/٦١.

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾

بعد كلِّ ذلك سيقطف الثمار، وبمستويات متعـدِّدة، وبـدرجاتٍ مختلفةٍ، وبصورٍ متجدِّدةٍ، وبظروفٍ متباينةٍ، يقطف الثمار في الدنيا ويقطف الثمار في الآخرة.

الثمار في الدنيا: السعادة والاطمئنان.

الثمار في الآخرة: الثواب والأجر ومـا أعـدَّه اللهﷻ لحَمَلَـة رسالته الإيمانية الإنسانية.. وبعد ذلك، نتيجةً لتربية الإنسان لنفسه على مبدأ السِّلْم والسلام، سيعمل من أجل إشاعته في القول وفـي العمل.. بالتأكيد سيُلاقي تجاوباً من الكثيرين، كمـا أنَّـه سـيُلاقي معارضةً وعدمَ تفاعل من كثيرين.

الفصل الأَوَّل

المبحث الثالث

أهلُ السلامِ.. أنصارُ الله

أهلُ السلام.. أنصارُ الله

دائماً هناك أنصار لله ﷻ، أنصار للإنسان، أنصار للخير، أنصار للوطن. وهناك أنصار للشيطان، أنصار للشرِّ، أعداء للإنسان، أعداء للأوطان.. مَن يحمل رسالة السِّلْم والسلام سيعمل من أجل نشرها وإشاعتها.. دائماً حَمْلها وبشكل عملي يكون مؤثِّراً في الآخرين.

ولهذا يكون هناك تجاوب من الآخرين، وفي هذه الحالة تُطرَح التساؤلات التالية:-

١-ما هو المطلوب الإلهي الإنساني من الآخرين؟!...

٢-ما هو المطلوب من المجتمع؟...

٣-ما هو المطلوب من الشعب؟!...

٤-ما هو المطلوب من الأُمَّة، أو ما هو المطلوب من الجماعات والشعوب والأمم؟!...

المطلوب: هو ما تشير إليه الآية الكريمة:-

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[1]

بعد أن حمل الفرد (ونتيجة حَمْل الفرد يعني: حَمل أفراد)

---

[1] سورة النساء/آية/٨٦.

ثقافته إلى المجتمع أو إلى المجتمعات، إلى الشعب أو إلى الشعوب، إلى الأمَّة أو إلى الأمم، إلى البشرية عامَّة. يكون قد أدَّى رسالته الإلهية. والرسالة الإلهية هي التي أُرسِلت رحمة للعالمين، يعني: لكلِّ البشرية. ومفردة السِّلْم والسلام هي ضمن مفهوم الرحمة، التي حملها الإسلام لكلِّ الناس ولكلِّ البشرية ولكلِّ الشعوب ولكلِّ الأمم.

المطلوب العام لمفردة طرح السِّلْم والسلام هو:-

تجاوب المجتمعات وتجاوب الشعوب وتجاوب الأمم، ولنقل: المطلوب هو: تجاوب الإنسانية مع مفردة السِّلْم والسلام.. وللتجاوب مستويات:

المستوى الأول: أن يكون التجاوب داخلياً، كالذي نراه في بعض المجتمعات، عندما تُطرح عليه فكرة وهي جيِّدة ويقتنع بها داخلياً، ولكن لا يترجم قناعته الداخلية للخارج، لا بقولٍ ولا بعملٍ. ولكن ما بينه وبين نفسه يقول: إنَّ هذه الفكرة سليمة، أو يمكن أن يقول ذلك جِهاراً، ولكن هو لا يتبنَّاها ولا يطرحها ولا يعمل بها، أمَّا في داخله فهو مؤمن بها.

المستوى الثاني: أن يؤمن بها ويتبنَّاها، عكس المستوى الأول تماماً، أي: يقوم بطرحها للخارج.

المستوى الثالث: أن يؤمن بها، ولكنه لا يتبنَّاها، يقولها بلسانه ولكن لا يترجمها بعمله، فتكون الفكرة حَبِيسة ذاته.

السلام.. راية أهل الإيمان

نرى الإسلام العظيم يزرع في نفوس المؤمنين بالله ﷻ، وبالإنسان، وبالوطن، القِيَم، وعلى رأس هذه القِيَم هو: السلام.

كلما كان الزرع في وقته، وبأرض صالحة، وبتغذية سليمة، وبالتفات دائم، ستكون النتائج دائماً المرجوة وفوق المرجوة.

لأنَّ الله ﷻ دائماً يفتح لحامل القِيَم الإيمانية والإنسانية والوطنية، كل الأبواب ويرفع عنه كل الحواجز، من أجل أن يتخطَّى أكثر فأكثر لفهم الرسالة وحَمْلها وطرحها وتجسيدها في المجتمع.

لهذا بعد أن أكَّد في نفوس المؤمنين مبدأ السِّلْم والسلام، أَمرهم وحثَّهم وشجَّعهم على أن ينشروا هذه الثقافة.. مؤكِّداً لهم: أنَّ مَن ينشر هذه الثقافة، تعطيه حالة النشر سعادة إضافية إلى السعادة الأولى التي يعيشها، نتيجة إيمانه بمبدأ السِّلْم والسلام، وكلما يُجمِّع أكثر عدد من الناس الذين يؤمنون بهذه الثقافة فإنَّه يشعر بسعادة أكبر.

دائماً الثقافات الإلهية والثقافات الإنسانية والوطنية، لا يمكن أن تتمَّ بشكلٍ فردي على أيادٍ مُتفرِّقة، وإنَّما تحتاج إلى أيادٍ مجتمعة.. ومن أكثر هذه المفردات التي تحتاج إلى الأيادي المجتمعة هي: مفردة السِّلْم والسلام.

لأنَّ مفردة السِّلْم والسلام إمَّا أن تتوجَّه إلى المتشاجرين، وإمَّا

أن تتوجَّه إلى المجتمع، إلى الشعب، إلى الأمَّة، إلى الناس جميعاً.

فإمَّا أن يستجيبوا للنداء الإلهي الإنساني في الابتعاد عن التشاجر، وطرح مبدأ السلام فيما بينهم، وإمَّا أن يكون المجتمع والشعب والأُمَّة ضاغطة على هؤلاء لتحقيق السلام.

بالتأكيد، كلُّ تشاجُرٍ يحتاج إلى درجة من الضغط المجتمعي لِحَلِّه، فهناك تشاجُر يكفيه ضغط مجتمعي من العائلة، وهناك تشاجر يحتاج إلى ضغط مجتمعي من المنطقة، وهناك تشاجر يحتاج إلى ضغط اجتماعي من المدينة، وكذلك هناك تشاجر يحتاج إلى ضغط اجتماعي من البلد ككلٍّ، من الوطن بكامله.

وعندما نقول من البلد ومن الوطن، يعني: من أبناء البلد ومن أبناء الوطن ككلٍّ، بالضغط على هؤلاء المتشاجرين.

كما نحتاج ذلك اليوم في كثير من مجتمعاتنا من قِبَل أبناء المجتمع ككلٍّ، أبناء الوطن ككلٍّ، من أجل إيقاف التشاجر ما بين السياسيين الذين لا يعملون من أجل بناء الوطن وإنعاش المواطن والَّذين لا يحملون: قِيَماً إلهيةً، ولا قِيَماً إنسانيةً، ولا قِيَماً وطنيةً.

إذن، فالهدف الإلهي بعد زرع مفردة السلام بشكل قويٍّ ومتين في نفوس المستسلمين لله ﷻ والمؤمنين بالله ﷻ والمؤمنين بالمنهج الإلهي الإنساني: هو تحقيق السلام والاطمئنان والتقدُّم.

لقد أراد الله ﷻ، من الأُمَّة ككلٍّ، من المجتمع، من الشعوب أن تتجاوب مع هذا النداء، مع هذه الثقافة، مع هذا المبدأ. وحثّ

الشعوب والمجتمعات على أن يكون تجاوبها بدرجة عالية مع السّلام والسِّلم، من أجل أن يكون التجاوب بدرجة أعلى، تكون النتائج أفضل وأكبر وأوسع، وأسرع.. ومن هنا، نستوعب معنى الآية الكريمة:-

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[1]

أولاً: المطلوب من الأُمَّة: أن تتفاعل مع مبدأ السلام، الذي يُعبِّر عنه القرآن الكريم بالتحيَّة، والنداء ليس مُخَصَّصاً لفرد دون آخر، وإنَّما مُوجَّه لكلِّ أبناء المجتمع، لكلِّ أفراد المجتمعات، لكلِّ أبناء الشعوب.

(وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ) إذا طرحَ عليكم أحد، السِّلْم والسلام وحيَّاكم به، المطلوب منكم أيُّها المجتمعات والشعوب: أن تتفاعلوا مع هذه الثقافة، وأن تتفاعلوا مع هذا المبدأ.

هناك أشخاص طرحوا ثقافة السلام، وهم: المرسَلون والأنبياء والأئمَّة(عليهم السلام)، والمطلوب من الآخرين: التجاوب معهم، ملتفتين إلى أنَّه توجيه إلهي، وتوجيه إنساني، وتوجيه وطني، فإن كانوا يحرصون على مرضاة الله ﷻ، لابدَّ أن يستجيبوا لهذا التوجيه، وإن كانوا يحرصون على كرامة الإنسان، وكرامة أنفسهم، وسلامتهم وسلامة الآخرين، لابدَّ أن يستجيبوا لهذا التوجيه والنداء، إن كانوا

---

[1] سورة النساء/آية/٨٦.

يحرصون على سلامة أوطانهم، فلابدَّ أن يستجيبوا إلى هذا النداء.. في كل حال، وخصوصاً في أوقات التشاجر.

خلاصة الفصل الأول

١-السلام سرُّ سعادة الإنسان، لأنَّ الإنسان عندما يُؤمِن بالسلام، فإنَّه يعيش حالة الأمان والاطمئنان.

٢-سعادة الإنسان لا تتحقَّق ما لم يُؤمِن بأهمِّيَّة السلام في حياته على المستويين الفردي والجماعي.

٣-تبرُز أهمِّيَّة السلام وضرورة السلام عندما يفهم الإنسان بِعمقٍ ثقافة السلام.

٤-في الكثير من المجتمعات التي تسيطر عليها الجوانب الماديَّة في حياة الإنسان، يضعُف فيها الجانب الروحي والقِيَمي. وتبَعاً لذلك تضعُف قِيَم المَحبَّة وثقافة السلام.

٥-الإسلام المجيد يريد من المؤمنين به أن يعيشوا حالة التوازن بين الحياتين الأولى والآخرة، وحتى تتمَّ عملية التوازن يجب أن يعيش الإنسان حالة السِّلم والسلام ليعمل لدنياه ولآخرته.

٦-يُعتبَر الفقر أُس المشاكل الاجتماعية، فالإنسان الفقير الحال يكون مشغولاً بسدِّ عوزه وفقره، والإسلام الحنيف وجَّه أبناءه ليكونوا مؤمنين صابرين، وأن لا يكون الفقر مُعيقاً لهم في تطبيق مبادئ الأخلاق السامية، ومنها إفشاء السلام والتعايش

السلمي.

٧-لقد منع الإسلام المجيد المسلمين من مزاولة كل المهن التي فيها ضرر على المجتمع، ومنها الاحتكار والمعاملات الرِّبَوية كي لا ينزلق المسلم في مَهَاوي الديون الرِّبَوية التي تزيد من حالة فقره وحاجته للمال.

٨-الإسلام العزيز يُؤكِّد على الإنسان أن يكون ضميره مؤمناً بالقِيَم الإنسانية النبيلة ومنها إشاعة السلام.

٩-الإنسان الذي يحترم ذاته الإنسانية عليه أن يحترم الوجود الذي خلقه الله (تَعَالَى) ليكونَ مُسخَّراً لخدمة الإنسان.

١٠-الشخص المؤمن بِقِيَم الخير والإنسانية يكون ذا روحٍ تفيض بالخير والعطاء والسلم والسلام والمحبَّة.

١١-السلم العملي هو الترجمة الواقعية لحالة السلام التي يعيشها الإنسان في ذاته.

١٢-السلام لا يقتصر على ممارسة إلقاء التحيَّة، وإنَّما السلام هو إيمان داخلي بمفهوم المحبَّة والأُخوَّة والاحترام بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان ومحيطه الخارجي.

١٣-أكَّد الإسلام الحنيف على تربية الذات الإنسانية... على القِيَم الفاضلة، حتى تترسّخ في داخله كلُّ معاني الخير والمَحبَّة والتعاون والتعايش والسلام.

١٤-رفض الإسلام أن يكون المؤمنون به من ذوي النفسيات

الازدواجية، وأكَّد في تعاليمه أن يتطابق داخل الإنسان مع ما يطرحه إلى الخارج، أي أن يكون ما في قلبه مُطابقاً لِمَا يقوله لسانه.

١٥-الإنسان الذي يتمكَّن من ترويض نفسه على السلام والتعاون مع الآخرين، سينجح لأن يكون عنصراً فاعلاً في المجتمع.

الفصل الثاني

ويتكوَّن من أربعة مباحث

المَبحث الأول:

السلام.. فِطرة يُغذِّيها ذِكْر الله

المَبحث الثاني:

للسلام.. مفهومان

المَبحث الثالث:

السلام.. أوَّل بلا بداية

المَبحث الرابع:

المسلم.. مَن سلِم الناس من يده ولسانه

الفصل الثاني

المبحث الأول

السلام.. فِطرة يُغذِّيها ذِكْر الله

السلام فطرة.. يُغذِّيها ذكر الله ﷻ

إذن، المطلب الأول بعد أن يأتي مبدأ السلام: أن تكون الاستجابة له جماعية، ويتحقَّق ذلك بأمرين رئيسيين:-

الأمر الأول: مفردة سلامة النفس هي مفردة فطرية، والسلام يحرص على سلامة النفس.

الأمر الثاني: لا أحد يستعمل عقله، يُفعِّل عقله، يستثمر عقله ويقول: أنَّ الشجار بكلِّ أنواعه أفضل من السِّلْم، ليس هناك أحد يقول ذلك، مع تشغيله لعقله، مع تفعيله لعقله.

لهذا، الإسلام في نداءاته للمجتمعات، للناس جميعاً، يريد أن يوقظ فطرتهم الداخلية، التي أودعها الله ﷻ فيهم وهي ضمن تكوينهم، وكما يقول (تعالى):-

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]

وأن يحثَّهم على تفعيل عقولهم، فدائماً عدم تفعيل العقل، وعدم الاستجابة للفطرة تُوقِع الفرد والمجتمع بمهالك كثيرة. بأنواع من الشجار ويمكن أن تصل (والعياذ بالله) إلى الحروب.

---

[1] سورة الروم/آية/٣٠.

كلُّ ذلك نتيجة عدم استجابتهم لفطرتهم، وعدم تفعيلهم لعقولهم. ولهذا فالمطلوب من الأُمَّة المؤمنة دائماً: أن توقظ فطرتها وتستثمر وتفعِّل عقلها، ولهذا مطلوب منها: دوام الذكر لله ﷻ، والذكر مع التفكُّر، ولذلك يصفهم (سبحانه وتعالى):-

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١]

دائماً الفطرة تتأجَّج بذكر الله ﷻ وتوصلنا إلى أهمية حقوق الإنسان، وكرامة الإنسان، وحياة الإنسان.

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢]

يوصلنا إلى مسألة القاعدة الإلهية التي وضعها للبشرية، والتي قال فيها (سبحانه وتعالى):-

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٣]

إذن، دائماً بذكر الإنسان لله ﷻ، يُنمِّي، يصقل، يجلو فِطرته، وعندما يجليها ستكون أمامها هذه الأمور. ستكون كرامة الإنسان وحياة الإنسان، هما الهدف الأسمى عند الله ﷻ وعند المؤمنين

---

[١] سورة آل عمران/آية/١٩١.

[٢] سورة المائدة/آية/٣٢.

[٣] سورة الإسراء/آية/٧٠.

برسالته السماوية، والجريمة العظمى في إهدار دم الإنسان، إلى درجة أنَّ النَّبيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول:-

﴿إراقة قطرة دم أعظم عند الله من هدم الكعبة سبعين مرة﴾[١]

هذا نتيجة تفعيل الفِطرة، ولكنَّ الآية نفسها تُؤكِّد على أنَّ الذكر مطلوب من أجل تفعيل الفِطرة، تُؤكِّد على مسألة تفعيل العقل وتشغيله واستثماره، ولهذا تقول الآية الكريمة:-

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

هنا، عندما نتفكَّر في خَلْق السموات والأرض وهذه الألطاف والنِّعَم الإلهية التي خَلَقها اللهﷻ من أجل الإنسان، هذه من أجل سعادته، ومن أجل اطمئنانه، ومن أجل حياته، وليس من أجل شقائه، وليس من أجل مقاتلة البعض مع البعض الآخر، ولا مشاجرة هؤلاء مع أولئك، وإنَّما من أجل:-

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢]

---

[١] وقد وَرَد نظيره للسيوطي كما جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ج/١/ص٩١١ ما يلي:- ﴿عن النبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنَّه نظر إلى الكعبة، فقال: لقد شرفك الله وكرَّمك وعظَّمك، والمؤمن أعظم حرمةً منك﴾.

[٢] سورة الحجرات/آية/١٣.

فوجود التعدُّد المجتمعي، الديني، المذهبي، القومي، العِرقي، الفكري، الثقافي، هذا لا يعني التشاجر، ولا يعني التعادي والعداء، وإنَّما يعني: ضرورة التعارف، وضمن هذا التعارف يُشترَط التقوى (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**)، ضمن هذا التعارف يكون الأقرب إلى الله ﷻ، هو: الأكثر تقوى ووقاية.

هنا نلتفت إلى معنىً جميل لهذا النص القرآني ضمن سياق الآية التي ذكرناها: (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**)، يعني الإنسان الذي يستعمل مفردة التعارف التي أُمِرَ بها إلهياً وإنسانياً، يستعملها مع التقوى، بالشكل الذي يجعل الفرد يتعرَّف على الآخر:-

أولاً: لا يتعرَّض للآخر، لا يهين الآخر، لا يسيء للآخر.

ثانياً: لا ينقل عنه ما لم يقل، لا يعطي عنه صورة غير الصورة الواقعية، وهذا ما نراه كثيراً في مجتمعاتنا، عندما يكون هناك شخصان برأيين، ويتحاوران، يكون تحاورهما، لا من أجل أن يتعارفا، وإنَّما من أجل أن يغلب رأي أحدهما على الآخر.

نتيجة ذلك: يمكن أن تصدر من البعض (وهو يتحاور من أجل أن يتعرَّف على الآخر) إساءات للآخر، وبصور متعدِّدة، ويمكن من أجل الإساءة للآخر أن يعطي عنه صورة غير الصورة الواقعية، سواءاً كان في كلامه، أو في كتابته، أو يُقوِّله ما لم يقل.

السلام.. سعادة للدنيا ونعيم للآخرة

إذن، مفردة السِّلْم والسلام مفردة كلما تترسَّخ في داخل الإنسان يمكن أن يُقدِّمها للآخرين أكثر، وكلما يُقدِّمها للآخرين أكثر. المطلوب الإلهي الإنساني من كلِّ الآخرين: أن يستجيبوا له.. ما هي علامة الاستجابة؟.

لكلِّ فِعلٍ ردُّ فِعل، مرةً ردُّ الفعل يكون إيجابياً، ومرةً يكون سلبياً، اللهﷻ يريد أن يكون ردُّ الفعل إيجابياً، وهذا واضح من بداية الآية الكريمة التي تقول:-

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾

أيُّها المجتمع، أيُّها الشعب، أيُّتها الأُمَّة من الناس، مَن يطرح عليكم السِّلْم والسلام، فاستجيبوا لهذا الطرح، وَرُدُّوا عليه بكلِّ ما لديكم من طاقات وقابليات، مُستجيبين لهذا المبدأ الإلهي الإيماني الإنساني الوطني، فليكن تفاعلكم تفاعلاً قويَّاً.

﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾

الذي طرحَ السلام هو طرحَ مبدأً وهو يعمل به، لأنَّ مَن يطرح مبدأً وهو لا يعمل به يكون طرحاً مهزوزاً، طرحاً ضعيفاً، لكن عندما يطرح مبدأً وهو يعمل به، يكون طرحه قويَّاً، مُتجذِّراً، متيناً.

المطلوب من الناس جميعاً: التفاعل مع هذا الطرح وبأعلى ما يتمكَّنون، ولهذا تقول الآية:-

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾

هذا هو المطلوب: يعني الحالة الفُضلى.

الحالة الأخرى: أيُّها المجتمع، أيُّها الناس، إذا لم تَرُدُّوا بأحسن منها، فأقلُّ الأمور: أن تردُّوا مثلها.. مع أنَّ المطلوب هو: الردُّ بالأفضل والأحسن، لأنَّ الردَّ بالأفضل ممَّا يجرُّ الإحسان والسعادة للمجتمع ككلٍّ، وللشعب ككلٍّ، وللوطن ومَن فيه، ولكن إذا لم يكن الردُّ بهذه الصورة، فلابدَّ من الردِّ بأقلِّ الدرجات وهو: ردُّ السّلْم والسلام لِمَن سلَّم عليكم بالمثل.

هنا أكثر من بُعْدٍ للمفهوم العام للآية:

البُعد الأول: والذي يستشهدون به دائماً هو: مفردة السلام للداخل، فعندما يدخل أيُّ إنسان، المطلوب منه: السلام على مَن يدخل عليهم.. فإذا سلَّم عليكم أحد بقوله (السلام عليكم) فأجيبوه، فردُّوا عليه بسلامه وأكثر، بأن تقولوا له: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته).

أقل الدرجات سيكون ردُّ السلام كما قال، إذا قال: (السلام عليكم) فيكون الجواب: (عليكم السلام).

البُعد الثاني: إنَّ مَن يطرح عليك السّلْم والسلام، والحقيقة أنَّ الإسلام إنَّما أراد كلمة السلام لِمن يدخل أيَّ مكان -(على فرد، أو على أسرة، أو على جماعة، أو على مجتمع، أو على أمَّة)- لأجل أن تكون كلمة السلام هي الأساس لعلاقته مع الآخرين.

فالسلام ليس مسألة لفظية للداخل فقط، وإنَّما السلام مبدأ، وإنَّما السلام ثقافة، وإنَّما السلام منهج، وإنَّما السلام دوافع وأهداف، وإنَّما السلام سعادة دنيا ونعيم آخرة، وإنَّما السلام حَقْنٌ للدماء، وصَونٌ للأعراض، وحفظٌ للأموال، وإنَّما السلام أن تشعر بالأمن والأمان وأنت في بيتك، وأنت في محلِّ عملك، وأنت في دائرتك، وأنت في أرضك، وأنت في بلدك ووطنك.

الفصل الثاني

المبحث الثاني

للسلام.. مفهومان

للسلام.. مفهومان

للسلام مفهومان، والمفهوم الأول للسلام يرتبط بالمفهوم الثاني له:-

المفهوم الأول: مفهوم لفظي.

المفهوم الثاني: مفهوم مجتمعي.

المطلوب العام هو: أن نعيش السلام كثقافة وليس كلفظ، وأن نعيشه كأساس حياة، وليس كلمة يقولها الإنسان، خصوصاً إذا جاءت ممَّن يعمل بالسلام.. هناك مَن يتلفَّظ بالسلام ويدَّعي أنَّه يعمل بالسلام، ويُسلِّم عندما يدخل على الآخرين، ولكن هناك مَن يدخل ويشتم الآخرين، ويطعن بالآخرين، ويسيء لهم.. هناك مَن يتلفَّظ بالسلام، ويدَّعي أنَّه يعمل بالسلام، ولكنه عندما يدخل يُحدِث الفتنة في دخوله.

مقابل ذلك: هناك (وهو المطلوب الإلهي) مَن يبدأ بالسلام لفظاً، ويترجمه عملاً وحياةً وسلوكاً وأخلاقاً.

هنا المطلوب الإلهي: تفاعل المجتمعات مع هذا الطرح، الاستجابة لهذا الطرح، وذلك بالالتفات إلى الفطرة الداخلية، وتفعيل العقل.

فضمن الفطرة الإلهية: الإنسان حريص على سلامته، ولهذا

قال أبو ذَرٍّ﵁ لأحد الناس: (نفسك أحبُّ الأنفس إليك، فإن أنتَ عَصيتَ الله، فقد أسأتَ إليها) [١]

ومن أهمِّ المفردات الإلهية التي أمر بها (سبحانه وتعالى) هي: مفردة السِّلْم والسلام عندما قال وأمر وحثَّ وشجَّعَ:-

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢]

السِّلْم بالمعنى اللفظي هو يجرُّنا إلى السِّلْم بالمفهوم العام، السِّلْم بالمعنى اللفظي هو يجرُّنا إلى ثقافة السِّلْم المجتمعي، السِّلْم بالمعنى اللفظي يُؤكِّد أساساً للسِّلْم المجتمعي.

دائماً كلُّ الثقافات تبدأ من كلمة، ثمَّ تنتشر وتتفعَّل، بمقدار مَن يؤمن بها ومَن آمن بها، سيكون لها وجود خارجي.

المطلوب: تفعيل مفردة السِّلْم والسلام في المجتمع، فالقرآن الكريم إنَّما يُؤكِّد ذلك، لأنَّه ينظر إلى واقع مجتمعي مرير، كان موجوداً قبل الإسلام، وكان موجوداً في بداية الإسلام، وموجوداً في كلِّ المجتمعات، وإلى يومنا هذا، ويمكن إلى أن يظهر المنقذ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وهو:

إنَّ الكثير مِمَّن يطرح السِّلْم، يُقابَل بالعكس، ليس فقط بعدم الردِّ، أو بعدم الاستجابة الجماعية، أو بعدم الردِّ الفردي، أو الحدِّ

---

[١] أعيان الشيعة/السيد مُحسن الأمين/ص٢٣٦.

[٢] سورة البقرة/آية/٢٠٨.

الأدنى، وإنَّما يُقابَل بالعكس، وما يشهد على هذا، الكثير من الوقائع التأريخية، سواءاً كانت ما بين الحكام والسلاطين، أو ما بين المجتمعات والقبائل.. وبعد ذلك، ما بين الحكام وما بين السياسيين والكيانات السياسية، ولهذا نرى أغلب الحكام وأكثر السياسيين مِمَّن يتشاجرون فيما بينهم وبين الآخرين.. ودائماً التشاجر يعني: بداية الـ(لا سلام).

إذن هناك مفهوم لفظي لمفردة السلام، وهناك مفهوم مجتمعي لمفردة السلام.

وبفهمنا، أنَّ الأول هو يدعو إلى الثاني، المفهوم اللفظي والذي حثَّ عليه الإسلام، إلى درجة أنَّه قال (سبحانه وتعالى):-

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

أراد مقابل ذلك من المجتمع: الردَّ بالأفضل:-

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

هذه التحيَّة اللفظية، التي هي أساس التحيَّة الفكرية والتحيَّة العملية، يعني: أساس السلام العملي، وأمَّا السلام العملي فهو واضح من الآيات الكريمة التي تذكر مسألة السِّلْم والسلام.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

كذلك قوله (تعالى):-

﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١]

وبقية الآيات الكريمة.

فإذا كان هناك ضعف في الاستجابة للفِطرة وتشغيل العقل، فالمطلوب: أقلُّ الدرجات، وهو: الردُّ بالمثل، وعدم الإساءة لِمَن يحمل السِّلْم والسلام إليكم.

فكما بيَّنَّا كان ولا يزال هناك مَن يحمل السلام للمجتمع، ولكن بعض المجتمعات التي تعمل بغير المنهج الإلهي والإيماني والإنساني والوطني تسيء إليه.

اللهﷻ يقول: إن لم تكونوا بمجموعكم معه، فعلى الأقل لا تُسيئُوا إليه، وردُّوا إليه السِّلْم بالسِّلْم، والسلام بالسلام.

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

الردُّ اللفظي كما بيَّنَّا، مَن قال (سلام عليك) تجيبه بـ(وعليك السلام).

الردُّ الفكري: هذا يتوجَّه للفرد، فإذا لم يكن المجموع قد تجاوبوا معك بالشكل المطلوب، فهذا لا يمنعك من أن تتجاوب معهم.. الكثير ممَّن لا يتجاوبون في البداية، يمكن أن يتجاوبوا فيما

---

[١] سورة يونس/آية/٢٥.

بعد، الكثير ممَّن يستغربون من الطرح في بداية الأمر، عندما يتفكَّرون في الطرح، من الممكن أن تتغيَّر آراؤهم وأفكارهم.

وبعبارة أخرى: أيُّها الفرد: لا تأخذك العزَّة عندما لا يستجيب الآخرون إلى مبدأ السِّلْم والسلام.. فأنت بادِر، إن لم يكن هناك استجابة جماعية، تكن هناك استجابة فردية.

لأنَّ (الفرد زائد فرد) يساوي (جماعة)، وأكَّدوا (أهل اللغة) أنَّ ما زاد على ثلاثة فهم جماعة.

أقلُّ درجات التفاعل المطلوب هو: الردُّ بالمثل، هذا الردُّ بالمثل إمَّا أن يكون جماعياً وهو الأفضل، يعني: الأفضل بالدرجة الثانية، لأنَّ الأفضل في الدرجة الأولى هو: التفاعل الجماعي والانسجام مع الفكرة وتبنِّي الفكرة، عند ذلك يكون الردُّ بأحسن منها. وإذا لم يكن هناك تفاعل جماعي بالفكرة، فأقلُّ مستويات التفاعل هو: الردُّ بالمثل... إذن لابدَّ أن يعيشوا مفردة السِّلْم والسلام فيما بينهم.

لماذا ردُّ السلام.. واجب؟.

الأحاديث والروايات الشريفة تذكر الكثير عن مسألة السِّلْم والسلام، وثوابها وأهميتها ودورها، وهي متقاربة، ومن هذه الأقوال المباركة الشريفة لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):-

﴿السلام تطوُّع، والردُّ فريضة﴾[1]

---

[1] البرهان في تفسير القرآن/السيد هاشم البحراني/ص١٤٠.

نحتاج إلى وقفة مع هذا الحديث الشريف: أنَّ السلام تطـوُّع، لماذا؟!.. لأنَّ مَن يطرح السلام هو نتيجة إيمانه بالسلام، والمؤمن بالشيء دائماً لا يحتاج إلى الحثِّ، فهو يعيش حالة الاندفاع لطـرح السلام لأنَّه يؤمن به، لأنَّه يعتقد أنَّ السلام مسـألة ومبـدأ إلهـي وإنساني ووطني.. إذن، هو لا يحتاج إلى الكثير من الحثِّ، ولكـن ليس كلُّ مَن يتلقَّى السلام هو مؤمن بالسلام، ولهذا جاء السلام من البادئ تطوَّعاً، ولم يكن فرضاً.

لكن عندما طُرِحَ على الآخر (السلام)، يكون ردُّ الآخر لـلأول (السلام) فريضة، لماذا؟!.. لأنَّه في بعض الأوقات يكـون الجهـل مُعذِّراً، وعدم العلم في بعض الأوقات يكون حجَّة، أمَّـا مـع العلـم والمعرفة، وقد طرحَ السلام عليك، وهذه الكلمة تجـرُّ إلـى ثقافـة السلام، إلى مبدأ السلام، إلى قِيَم السلام.. ولهذا صار الردُّ فريضة، والردُّ واجب.. لأنَّ عدم الردِّ يعني: ثقافة العنـف، يعنـي: ثقافـة الاعتداء، يعني: ثقافة لا حقوق للإنسان، ولا كرامة له، ولا حيـاة له، ولا صيانة لدمه وعِرضه وماله، وهذا ما لا يجـوز.. وبـذلك نفهم لماذا البداية تطوُّع نتيجة إيمانه، ولكنَّ الردَّ فريضة فقد أتـمَّ عليه الحجَّة، فلابدَّ أن يردَّ عليه.

الفصل الثاني

المبحث الثالث

السلام.. أول بلا بداية

السلام.. أول بلا بداية

المسلم له علاقة مع الغيب، بل وكلُّ مؤمن لـه علاقـة مـع الغيب، وله علاقة مع المادَّة، وأعلـى الوجـودات الماديـة هـو: الإنسان، فالعلاقة ما بين الإنسان والجهة الغيبية التي هـي الله ﷻ، والتي هي ربُّ العالمين: الذي هو الحيُّ القيُّوم، والذي ليس كمثلـه شيء، والذي هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية.

بعد أن يعيش (أي الإنسان) الوضوح معه (سبحانه وتعـالى)، لابدَّ أن يعيش حالة الاستسلام لله ﷻ، ومنه سُمِّي المسلم مسـلماً.. وحالة الاستسلام لله ﷻ تعني: حالة السلام الروحي ما بينه وبـين خالقه، ما بينه وبين مكوِّنه، ما بينه وبين صانعه، ما بينـه وبـين واهب الحياة، ما بينه وبين مَن وهبَ له كلَّ الطاقـات والقابليـات والقدرات وعلى رأسها: العقل.. المطلوب في مفهوم كلمة المسلم، هو: أنَّ يعيش أولاً وقبل كلِّ شيء: السلام ما بينـه وبـين الله ﷻ، والذي يعني: الاستسلام لله ﷻ.

إبراهيم عليه السلام.. أول مَن نادى للسلام

عندما نقول: إنَّ مفردة المسلم هي لكلِّ المـؤمنين، لأنَّ أبـا الأنبياء إبراهيم عليه السلام هو الذي أعطى صورة الاستسلام لكلِّ الديانات

السماوية، وعلى ذلك وَرَدَت الآية:-

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَولاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[١]

يعني: أنَّ إبراهيم عليه السلام جعل أُسس الرسالات السماوية، التي جاءت بعده.. ولهذا ذكرنا في بعض كتبنا: كيف أنَّ إبراهيم عليه السلام كان مدرسة للأنبياء، لِما وضع من أُسس، بتوجيه من الله تعالى وأمره، وكيف أنَّ أهمَّ هذه الأسس هي: مفردة السلام العملي ما بين الإنسان وبين الله تعالى، والسلام ما بين ممكن الوجود وواجب الوجود هو: الاستسلام.

وهذا ممكن أن نستدلَّ عليه بالآية الكريمة التي تقول:-

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[٢]

إسلام الوجه: يعني إسلام البدن وليس فقط الوجه، وإسلام البدن يعني: تفعيل أجزاء البدن لطاعة الأوامر الإلهية، للمنهج الإلهي، للتربية الإلهية، للإرادة الإلهية.

حيث أنَّ إبراهيم عليه السلام كان على أعلى درجات الاستسلام لله تعالى،

---

[١] سورة الحج/آية/٧٨.

[٢] سورة النساء/آية/١٢٥.

عندما جاءه الوحي عن طريق المنام أن يُقدِّم ابنه قُرباناً لله ﷻ، وهكذا أراد أن يعمل، هكذا أراد أن يفعل، ولكن عندما رأى الله ﷻ صِدْق الفعل من إبراهيم، فدى ولَدَهُ بكبشٍ أنزله من السماء.. وقال لإبراهيم عليه السلام: أن قد صدَّقت الرؤيا.. فعندما أراد إبراهيم عليه السلام أن يُحقِّق الإرادة الإلهية، كان قد تفاعل بكلِّ أجزاء جسمه.

كذلك بالنسبة لسيِّد الأنبياء وخاتمهم وأشرفهم: النَّبيّ محمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي قدَّم كلَّ أجزائه لله ﷻ، ولهذا شملت ضربات الأعداء كلَّ أجزائه.. ففي بعض الأحاديث: كان يعود (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الدار، وتقول السيِّدة أمُّ المؤمنين خديجة الكبرى(عليها السلام): لم يكن هناك جزء منه لم يُصَبْ، أو لم يُؤذَ، فيعني أنَّه كان قد فعَّل كلَّ أجزائه لله ﷻ، أسلمها لله ﷻ، طوَّعها لله ﷻ.

السلام.. للخالق وخَلْقه

نرى أنَّ مفردة السِّلْم والسلام، لها جانبان:-

الجانب الأول: السلام ما بين الإنسان والجانب الغيبي، الذي هو: الله ﷻ.. يعني: يكون الإنسان دائماً مستسلماً لله ﷻ، والاستسلام لله ﷻ يعني: برمجة حياة الإنسان على أساس المنهج الإلهي، الأخلاق الإلهية، وبكلِّ صغيرة وكبيرة.

بالتأكيد أنَّ هناك آياتٍ كثيرةً في هذا المجال، في مفهوم

استسلام الفرد لربِّه، ومفهوم الانقياد الذي وَرَدَ في كثير من الآيات، ومفهوم الاستجابة الذي وَرَدَ في بعض الآيات، كلُّها تعني: الاستسلام لله ﷻ استسلاماً عملياً.. إذن، هذا الاستسلام العملي ما بين الإنسان وبين الله ﷻ، دائماً يحتاج إلى أن يلتفت إليه الإنسان ويبدأ به، ومن ثمَّ يُفعِّل هذا السلام، وذلك بتفعيل أجزائه وحركاته وتصرفاته، بالمنهج الإلهي والذي يعني: الاستسلام لله ﷻ.

الجانب الثاني: السلام ما بين الإنسان وبين الأمور المادية، وأثمن الموجودات من الأمور المادية هو: الإنسان.

لهذا نرى هذا المفهوم للسلام ما بين الإنسان والجانب المادي في الحياة قد وَرَدَ متفرِّقاً في كثير من الآيات الكريمة، لأنَّها نصوص تشريعية متفرِّقة.. فوَرَدَت في الآيات الكريمة على أساس نصوص تشريعية، ونصوص قواعد.

فمرة القرآن الكريم يعطينا السلام ما بين الإنسان وأخيه الإنسان على شكل تشريع، كما في قوله (تعالى):-

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]

ومرةً على أساس قاعدة، وهي: التي تأمر بالعدل، دائماً نتيجة العدل: السلام، وبعد ذلك تأمر بالإحسان، ونتيجة الإحسان: السلام

---

[1] سورة المائدة/آية/٣٢.

مع الآخر، يقول (تعالى):-

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]

الإسلام الحبيب أكَّد على مفهوم السلام العملي ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، وأكَّد على مفهوم السلام العملي ما بين الإنسان ومشاعر أخيه الإنسان في آيات كثيرة، والتي منها:

آيات النهي عن التنابُز، وآيات النهي عن الغيبة، وآيات النهي عن النميمة، وآيات النهي عن التهمة، وآيات النهي عن الفِتنة، وآيات النهي عن الأخذ بالظنِّ في قرارك مع الآخرين، وفي تصرفاتك مع الآخرين، وفي تشريعه لِحُرمة الاستهزاء بالآخرين.

وذلك نراه في آيات كثيرة ومُتفرِّقة من القرآن الكريم، ومنها قوله (تعالى):-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]

---

[١] سورة النحل/آية/٩٠.

[٢] سورة الحجرات/آية/(١١-١٢).

إذن، هناك سلام ما بين الإنسان وبين ربِّه، وهو: الجانب الغيبي وهو الله ﷻ، وما بين الإنسان وأشرف الأمور المادية (الجانب المادي) وهو: الإنسان الآخر.

الفصل الثاني

المبحث الرابع

المسلم.. مَن سَلِم الناس مِن يده ولسانه

المسلم.. مَن سَلِم الناس مِن يده ولسانه

حتَّى نردَّ التحيَّة.. بالأحسن

القرآن الكريم أكَّد لنا في الآيات السابقة: ضرورة الالتفات إلى علاقة الإنسان الخارجية العملية ما بينه وبين الإنسان الآخر، سواءاً كان بأجزائه البدنية أو بمشاعره النفسية.

نرى في الحديث الشريف عن النَّبيِّ الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه يجمع هذه الأمور، ودائماً السُّنَّة الشريفة من الأحاديث المباركة والروايات الشريفة هي مُوضِّحة للقرآن، فالحديث يذكر أبعاد السِّلْم العملي ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، حيث يقول:-

﴿المسلم مَن سَلِم الناس مِن يده ولسانه﴾

إذن، السلام ما بين الإنسان والإنسان الآخر هو: عدم التعرُّض للآخر، لا لأجزائه وبدنه، ولا لمشاعره.

دائماً اليد تعني: الأذى الجسدي المادي، واللسان دائماً يعني: الأذى للمشاعر، فصورة المسلم هذا أنَّه أسلمَ وجهه للهﷻ، وعاش حالة السلام مع اللهﷻ، بعد ذلك لابدَّ أن يعيش حالة السلام مع الإنسان الآخر، لابدَّ أن يلتفت إلى سلام مادي مع الإنسان الآخر، سلام لأجزاء بدنه، بعدم إلحاق الأذى بها. وسلام لمشاعره وأحاسيسه، ولهذا النَّبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول:-

﴿المسلم مَن سَلِم الناس مِن يده﴾

فلا هناك اعتداء على أجزاء الإنسان الآخر، أو بدن الإنسان الآخر، أي الوجود الخارجي للإنسان الآخر، ولا هناك اعتداء على مشاعره، والتي نفهمها من قوله (عليه أفضل الصلاة والسلام):-

﴿المسلم مَن سَلِم الناس مِن يده﴾

يعني: على بدن الآخر.

﴿ولسانه﴾

يعني: على مشاعر الآخر.

بكلِّ الأنواع التي ذكرنا قسماً منها وهي كثيرة: الاستهزاء، السخرية، التنابز بالألقاب، النميمة، الغيبة، البهتان.. ومع كلِّ هذا، الإسلام يحرص على أن تكون مفردة السلام مفردة عملية وليست فقط نظرية، وعملية على كلِّ المستويات، هذه المستويات المتعددة هي:-

أولاً: البِشْر في الاستقبال، بإن يكون المُسْتَقبِل طَلِق الوجه وليس مُكْفَهِرَّاً في وجه القادم الذي بدأه بالسلام.. وهذا معنىً من المعاني التي وَرَدَت في موضوع الردِّ بالأحسن.. يُمكِن أن يكون القادم متعباً، وخصوصاً إذا ما نظرنا إلى ظروف مجيئه، من شأن المتعب ألاَّ ينبسط وجهه، ولكن هو بحاجة إلى أن يرى الوجه المنبسط، وهذه القاعدة تنطبق قديماً وفي صدر الإسلام وحتَّى في يومنا هذا.

فهناك مَن كان يسافر ويتنقَّل على الجِمال لأيام من مكان إلى مكان، وكذلك الآن بحسب الظروف الراهنة، ممكن أن يتأخر ساعات في طريقه إلى أن يصل إلى المكان الذي يريد، فمن الممكن أن يصل مُتعَباً، فَيَصِل وهو غير منبسط الوجه، المطلوب ممَّن يرد عليه السلام إن أراد أن يكون جوابه للتحيَّة بالأحسن، بأن يردَّها مع انبساط للوجه، وَوَرَدَت في ذلك أحاديث وروايات.

ثانياً: القيام لِمَن يأتي.. كذلك من موارد الردِّ بالأحسن، بعد انبساط الوجه، هو: القيام لِمَن يقدُم، دائماً القادم هو الذي تحمَّل العناء في المجيء، إذن، لابدَّ لصاحب الدار أو لأهل الدار أو لِمّن يستقبله، لابدَّ أن يلتفت إلى هذه الخصوصية، حيث أنَّ من واجبه إن أراد أن يكون ردُّه بالأفضل والأحسن، فأول الدرجات وبعد البِشْر: هو القيام له.

ثالثاً: أن يُجلِسَ القادم في أحسن مجالسه، وهذا يعني: نوع من أنواع التقدير والاحترام، يشير إليه بالمجلس الذي يعني احترامه، ويُفهَم منه تقديره.. كما وَرَدَ في ذلك أحاديث وروايات إلى درجة أنَّ بعض الأحاديث والروايات تقول: بأن يضع الوسادة له أو خلف ظهره، فذلك من تكريم المُقبِل ومَن سلَّمَ عليك، وهي من معاني رَدِّ التحيَّة بالأفضل والأحسن.

رابعاً: الترحاب بالقادم، فمن صفات السلام ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، وخصوصاً في حالة أنَّ القادم هو الذي بدأ بالسلام،

والمطلوب منك أن تردَّ عليه بالأفضل والأحسن، هو أن تُرحِّب به.

خامساً: الدعاء للقادم.. مع الترحاب أو بعد الترحاب أو يكون ضمن الترحاب: الدعاء له.

هذه الروايات جميلة جداً، وهي تُؤكِّد مفهوماً إيمانياً وإنسانياً وإجتماعياً ونفسياً.. جميل جداً أن يكون بداية اللقاء هو: السلام، والإنسان قد استسلم لله ﷻ في علاقته مع الله ﷻ، ولذلك بدأ مع أخيه الإنسان بالسلام..

كذلك الردُّ لابدَّ أن يكون أفضل من الابتداء. ولهذا المطلوب أن يردَّ بالأحسن، من جملة معاني الردِّ بالأحسن: هو الدعاء له، أن تكون بداية الجلسة ما بينه وبينك، وما بينك وبينه، على مبادئ إلهية إيمانية تُذكِّر نفسك وإيَّاه بالله ﷻ، وعندما نذكر الله ﷻ ليس كإسم، وإنَّما نذكر الله ﷻ كقِيَم، كونه من أسمائه السلام..

ولهذا تدعو له، وهذا من ضمن الردِّ بالأفضل لمن سلَّم، ففيه جانب روحي وهو: رَبْط الجلسة مع الله ﷻ، فيه جانب تقوية نفسية، لأنَّ الإنسان عندما يذكر الله ﷻ وهو مؤمن بالله ﷻ، يكون أقوى.

يعني: (اجتمعا في الله، التقيا على حبِّه)، وهذا ضمن مفهوم السلام، وضمن مفهوم ردِّ التحية بالأحسن.

كذلك من الأمور التي تُؤكِّد مفهوم السلام ما بينك وبين الإنسان الآخر هو أن تستفسر منه عن عمله، عن عائلته، عن

أهله، عن صحته.

لأنّ هذه الأمور تُؤكِّد العلاقة ما بين القادم والمُضيِّف أو المقصود بالزيارة، وتعني: العناية.

وبالنتيجة: نرى كلَّ هذه الوجوه هي وجوه تُؤكِّد ثقافة السلام العملي، ما بين الإنسان والإنسان الآخر، تُؤكِّد مبدأ مفهوم المسلم، وكيف أنَّ المسلم لا يمكن أن يكون مسلماً إلاَّ إذا سَلِمَ الناس من يده ولسانه.

أمَّا إذا لم يَرُدَّ بالأحسن، فالحدُّ الأدنى للردِّ هو: عدم إيذائه، لا جسدياً ولا من حيث المشاعر، وهذا المفهوم نهاية الآية الكريمة:-

﴿أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

بمعنى: هو بدأك بالسلام فأنت لابدَّ أن يكون ردُّك بالسلام، وعدم الأذى له، لا الأذى الجسدي ولا أذى المشاعر.

للتحيَّة والسلام.. آداب إلهية

من المفردات التي لابدَّ أن نلتفت إلى التربية الإلهية فيها وضمن ثقافة السلام هو: الأدب ما بين أفراد المجتمع، هذا الأدب الذي نراه في بعض مجتمعاتنا التي ابتعدت عن التربية الإلهية الإنسانية الوطنية وأصبحت وكأنَّها معدومة.

لا عَجَب إذا شاهدنا في الوقت الحاضر في بعض مجتمعاتنا أنَّ بعض الأبناء أو البنات يتقدَّمون على آبائهم أو أُمَّهاتهم، فيدخلون

إلى المجالس إلى الاحتفالات قبلهم، ويمكن أن يُعلِّلوا ذلك من أنَّ البنت أو الولد يحمل شهادة عالية، وأنَّ الأُمَّ يمكن لا تحمل شهادة أو تحمل شهادة الابتدائية، وبذلك يتعلَّل الولد من أنَّ شهادته تُبرِّر له أن يتقدَّم على أبيه أو البنت تقول أنَّ شهادتي أعلى من تحصيل أُمِّي فأنا أتقدَّم على أُمِّي، الناس يعرفونني ولا يعرفونها.

أو نرى في بعض المجتمعات عند بعض البنات والأولاد: أنَّ البعض ممَّن له مركز أو منصب معيَّن، سواءاً كان وزيراً أو دون الوزير أو فوق الوزير، يتقدَّم على الآخرين، وإذا كانت بنتاً تتقدَّم على الآخرين، باعتبار المنصب.

والصورة الثالثة السلبية في هذا المجال: إذا كانت البنت أو الولد ممَّن يَصْرِفُ على والديه، فنرى البعض نتيجة هذا الصَّرْف، والذي هو أقلُّ واجبات البِرِّ بالوالدين، وكأنَّ الولد أو البنت يُبرِّران لنفسيهما التقدم على والديهما أو أن يتكلَّمان قبلهما.

والأكثر سلبية هو عندما يكون غنيَّاً وليس محتاجاً ولكنه ليس بغنيٍّ، ولكن غِناه يجعله يستشعر (الأنا والذات) في داخله أكثر، ويحاول أن يُظهِر الأنا في داخله إلى درجة أنَّه يتقدَّم على أبيه.

تلك صور لسلبيات اجتماعية، هي كثيرة ويمكن لو أردنا أن ندخل فيها لا تنتهي لكثرتها. ولكن الإسلام باعتباره إسلام، سلام ما بين الإنسان والإنسان الآخر، واستسلام ما بين الإنسان والله ﷻ.

إذن الإسلام العزيز يلتفت إلى كلِّ صغيرة وكبيرة في حياتنا

وفي تصرفاتنا وفي أخلاقنا، ودائماً يحاول أن يُؤكِّد توجيهاته للفرد وللمجتمع من أجل السلام، ومن أجل أن تبقى النفوس طيِّبة، لا تحمل نوعاً من أنواع الضغينة، وما شابه وشاكل ذلك.

هناك سلبيات يمكن أحد الطرفين لا يتكلم بها، ولكن تبقى في داخله، فيمكن أنَّ الأب في الأمثلة التي ذكرناها يشعر بفرح، لأنَّ ابنه أخذ شهادة من الشهادات العليا أو أنَّ ابنه في مرتبة معيَّنة، أو ما شابه وشاكل ذلك، بمنصب معيَّن، ولكن هذا لا يُبرِّر للابن أن يفعل هذا وأن يقوم بهذا التصرف.

لهذا الإسلام دائماً يُنبِّه عن السلبيات التي من الممكن أن تحصل في المجتمع، سواءاً على صعيد علاقة الفرد مع الفرد الآخر، أو علاقة أبناء الأُمَّة فيما بينهم، أو علاقة المجتمعات ككلٍّ.

ضمن هذا المفهوم نرى أنَّ الإسلام الحبيب حدَّد آداباً للسلام، من هذه الآداب التي جعلها للسلام هو: أنَّ الذي يبدأ بالسلام الأصغر، فدائماً الصغير يبدأ بالسلام على الكبير، ذلك ليس تقليلاً من شأن الصغير، وليس استهانة بالصغير، ولكن تأدُّباً أمام الكبير، وتأدُّباً مع الكبير.

﴿أن يُسلِّم الصغير على الكبير، ويُسلِّم الواحد على الاثنين، وأنّ القليل يُسلِّم على الكثير، ويُسلِّم الراكب على الماشي، ويُسلِّم المار على القائم، ويُسلِّم القائم على القاعد﴾

الواحد يعني: خليفة واحد لله ﷻ، الاثنين يعني: خلفاء اثنين لله ﷻ، إذن المفروض الواحد الخليفة أن يُسلِّم على الاثنين الخلفاء.

بعد ذلك الحديث يعطينا قاعدة عامَّة:-

﴿وأنّ القليل يُسلّم على الكثير﴾

فلو كانوا مجموعة ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ورأوا مجموعة أخرى ثمانية أو عشرة أو خمسة عشر، المطلوب: أنَّ المجموعة الأقل هي التي تبدأ بالسلام على المجموعة الأكثر.

﴿ويُسلّم الراكب على الماشي﴾

كأنَّ الماشي -(دائماً)- هو أكثر عناءاً من الراكب، ولهذا المطلوب: أنَّ الراكب هو الذي يُسلِّم على الماشي.. هذا من جانب.

من جانب آخر: دائماً الراكب سيره أسرع من الماشي، ولهذا إن سلَّم على الماشي يراه ويصل إليه السلام، ولكنَّ الماشي إن سلَّم على الراكب يمكن ألاَّ يراه الراكب.

﴿ويُسلّم المارُّ على القائم﴾

سابقاً ولاحقاً، هناك مَن يقعد ويجلس، سواءاً كان أمام بيته أو في منطقة معيَّنة أو في محلِّه، في جلسة ما، تُسمَّى بالمنتديات التي تجمع أبناء المحلة الواحدة، أبناء مهنة واحدة، فمن الأدب: المارّ هو الذي يبدأ بالسلام.

﴿ويُسلّم المارُّ على القائم﴾

يعني على الواقف، كون مسألة **(ويُسلّم المارُّ على القائم)**

لنفس سبب الذي يُسلِّم الراكب على الماشي، وبعد ذلك:-

﴿ويُسلّم القائم على القاعد﴾

يعني: الواقف يُسلِّم على الجالس، دائماً هذه كأنَّه مفاهيم للقدوم.. فدائماً الجالس مقدوم له أو عليه، فدائماً هو الذي يبدأ بالسلام والمطلوب من المقدوم عليه الردُّ وكما بيَّنَّا سابقاً.

بكلِّ ذلك، الإسلام يحرص من أجل تأكيد علاقة المحبَّة والسلام ما بين أبناء المجتمع، بكلِّ أطيافهم، بكلِّ أعمارهم، بكلِّ مستوياتهم، بكلِّ أشكالهم، واحترام الآخر لإنسانيته قبل كلِّ شيء.

فإنَّ ذلك يُؤكِّد السِّلْم والسلام، وممَّا يُوصِل المجتمع إلى ثقافة التعايش السِّلْمي وبشكله العملي.

خلاصة الفصل الثاني

١-من أجل تحقيق مبدأ السلام والسلم، يجب أن تكون استجابة المجتمع إيجابية لمفهوم السلام والسلم، وبعكس ذلك تفشل كل محاولات فرْض السلام والسلم في المجتمع، وتبدأ إرادات العنف والحرب بالظهور.

٢-القرآن الكريم يُؤكِّد على مبدأ (التعارف)، والتعارف لا يكون إلاَّ بإقامة العلاقات السلمية الحميمة بين الناس.

٣-إنَّ وجود التعدُّد الديني والمذهبي والقومي والعِرقي والفكري والثقافي في المجتمع يُعطيه قوةً بسبب التعارف والتآلف.

٤-يجب أن تكون عملية التعارف بين شخص وآخر أو بين شخصٍ وجماعة أو بين جماعةٍ وجماعة، مبنيَّةٌ على أساس الاحترام المتبادَل والابتعاد بشكلٍ قاطعٍ عن أيَّةِ محاولةٍ لتسقيط طرفٍ من قِبَل طرف آخر.

٥-عندما يطرح إنسان مبدأ على الآخرين، يجب أن يكون مؤمناً بهذا المبدأ، حتى يكون هذا الطرح مُؤثِّراً، وعكس ذلك فسيكون الطرح ضعيفاً وبلا جدوى.

٦-إلقاء السلام على الآخر أو الآخرين من قِيَم الإسلام

وأخلاق المسلمين واستحبابه مؤكَّدٌ شرعاً واجب شرعي وردّ السلام واجب شرعيٌّ أيضاً.

٧-إنَّ عدم تفاعل مجموعة ما مع السلام، فلا يكن ذلك مبعثاً لليأس، فعلينا أن نبادر ونحاول مرَّة بعد أخرى حتى نُقنع الآخرين بصحة ما نطرحه عليهم.

٨-المبادرة بإلقاء السلام، أدب رفيع وثقافة راقية وردُّ السلام ذوق رفيع وخُلُق عالٍ.

٩-لقد عاش نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام تجربة الاستسلام لإرادة الله. فقد خاض تجربة صعبة جداً عندما قرَّر تنفيذ الإرادة الرَّبَّانية بذبح ابنه إسماعيل، ولكونه نجح في الامتحان، أمره الله سبحانه وتعالى أن يَفدي ذَبْح إسماعيل بذبح كبش بدلاً عنه.

١٠-الإسلام المجيد يُعلِّمنا أن نحترم الآخر، فيأمر الإنسان أن لا يغتاب أخاه الإنسان وأن لا يلمزه ولا ينبزه بلقبٍ سيِّءٍ وأن لا يظنَّ به ظنَّ السَّوء.

١١-الإسلام الحنيف يعلِّمنا أن نتعامل مع والدينا وحتى مع الآخرين بروح التواضع والبساطة حتى نستطيع بناء أعمق العلاقات الإنسانية فيما بيننا.

الفصل الثالث

ويتكوَّن من أربعة مباحث

المَبحث الأول:

السلام إيمان.. ثقافة.. أخلاق

المَبحث الثاني:

ناشئة السلام.. هم رجال السلام

المَبحث الثالث:

السلام.. مساوة لا طبقية

المَبحث الرابع:

السلام.. سُنَّة محمَّدية

الفصل الثالث

المبحث الأول

السلام إيمان.. ثقافة.. أخلاق

السلام
إيمان.. ثقافة.. أخلاق

نرى المنهج الإلهي في الديانات السماوية وفي الإسلام العظيم هو الاستسلام لربِّ العالمين...

الاستسلام من حيث الفكر والعقيدة، والاستسلام من حيث اللفظ والكلام، والاستسلام من حيث السلوك والعمل.

أراد لنا اللَّهﷻ السعادة في الحياة الدنيا، وأراد لنا أن نعيش الآخرة، ولهذا أعطانا وضوحاً بالإيمان بدرجة عالية، بدرجة أنْ جعل الإيمان ضمن تكويننا، وذلك هو معنى الفِطرة.

الفِطرة جوهر تكوين الإنسان وكلِّ إنسان. هي التي تقود الإنسان إلى الإيمان باللهﷻ، إلى الإيمان بالغيب، إلى الإيمان بِقِيَم السماء، وبإرادة السماء، إلى الإيمان بالقوة المُطلَقة، إلى الإيمان بوجود (واجب الوجود).

فهذه الفِطرة هي فِطرة تكوينية عند الإنسان، يعني: أنَّ اللهﷻ خَلَقها بحسب إيماننا ضمن خَلْقه للإنسان، وما دام هي مسألة فِطرية تكوينية، يعني: لا يمكن أن تتبدَّل ولا يمكن أن تتغيَّر. لهذا فالآية الكريمة تقول:-

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[١]

نعم، يمكن أن تضعُف، يمكن أن تضمحل، يمكن أن تتأثَّر ببيئاتٍ مُعيَّنة، مجتمعات مُعيَّنة، آراء معيَّنة، عقائد معيَّنة، ولكن تبقي هي في الجذور.. وكلما نعيش حالة الإيمان التكويني، ونعمل من أجل تجسيده خارجياً، نكون ممَّن أكَّدنا مفردة السِّلْم ما بيننا وبين الله ﷻ، ونكون ممَّن قد أسلمنا أمورنا لله ﷻ.

فالجانب العقائدي ضمن تكوين الإنسان، ومع هذا، الله ﷻ جعل الخيار للإنسان، يستجيب له أو لا يستجيب.. والمسائل الفِطرية التكوينية هي ضمن خَلْق الإنسان، ولكن يبقى تجسيدها في الخارج ضمن إرادته، ولهذا فالآيات التي تُقرِّب "ضرورة الاعتراف" بالتعدُّدية سواءاً كانت آراءاً، أو أفكاراً، أو ديانات، عندما تقول:-

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٢]

وعندما تقول:-

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٣]

فمع أنَّها مسألة تكوينية ولكن يبقى تجسيدها عند إرادة الإنسان.

---

[١] سورة الروم/آية/٣٠.

[٢] سورة الكافرون/آية/٦.

[٣] سورة الشورى/آية/١٥.

الحقيقة، بحسب فهمنا: أنَّ تجسيد الفطرة بشكل خارجي يحتاج إلى استعمال العقل، فلو توجَّه العقل إلى الفطرة، لتأكَّد من معطيات هذه الفِطرة، وأنَّ من ضروريات وجود الإنسان: إيمانه بالغيب، وبالنتيجة: إيمانه بالله ﷻ، وذلك من أجل أن يعيش سلاماً داخلياً.. دائماً السلام الداخلي يُعطي للإنسان قوةً من الداخل، وبمقدار ما يعيش الإنسان السلام الداخلي، يتمكَّن أن يُجسِّده في الخارج، على مستوى القول واللفظ والكلمة، وعلى مستوى أعلى وهو: العمل والسلوك والأخلاق.

وتبقى كلُّ هذه الأمور هي نتيجة اختيار الإنسان وقناعته، فبعد أن يختار ويقنع، يستعمل إرادته، ويترجم ما اقتنع به إلى مصاديق خارجية، مصاديق عملية حياتية، في تصرفاته مع الآخر..

مع أنَّ فطرة الإيمان مسألة تكوينية، لكنَّها باختيار الإنسان، كذلك مسألة اختيار اللفظ السليم، الكلمة السليمة، هي باختيار الإنسان، حسب إيمانه... حسب ثقافته... حسب أخلاقه.

والحقيقة، مَن يلتفت لهذه الأمور بتمعُّن، فيراها بأكملها هي تُؤكِّد على مفردة السِّلْم والسلام، سواءاً الإيمان، أو الثقافة، أو الأخلاق، ونقصد هنا بالأخلاق، مجموعة القِيَم.

شريعة.. الاحترام والسلام

من مفردات الأخلاق (أي مجموعة القِيَم) هو الحديث الشريف

الذي ذكرناه سابقاً، وهو:-

﴿أن يُسلّم الصغير على الكبير، ويُسلّم الواحد على الاثنين، وأنّ القليل يُسلّم على الكثير، ويُسلّم الراكب على الماشي، ويُسلّم المار على القائم، ويُسلّم القائم على القاعد﴾[1]

دائماً المنهج الإلهي يُوجِّه بضرورة احترام الصغير للكبير، تقدير الصغير للكبير.. بالتأكيد أنَّ الاحترام لا يعني أن يُمتَثَل للكبير بالخطأ والسلبيات، ولكن -(دائماً)- يبقى للسِّلْم مقامه ومكانته، لا فرق من أيِّ دين كان، ومن أيِّ طائفة كان، ومن أيِّ قومية كان، ومن أيِّ رأي أو فكر كان.

لهذا الله ﷻ جعل من المُنجيات للبشرية هو: وجود الكبار المتوجِّهين إلى الله ﷻ، وجود الكبار الذين أسلموا وجوههم لله ﷻ، ولهذا وَرَدَ في الحديث الشريف:-

﴿لولا شيوخ رُكَّع وأطفال رُضَّع وبهائم رُتَّع لَصُبَّ عليكم العذاب صبّاً﴾

بالتأكيد أنَّ ذكر البهائم لا يعني أنَّهم يُقارَنون بالشيوخ الرُّكَّع أو الأطفال الرُّضَّع، فلا يقارَن بالإنسان أيُّ مخلوق آخر، ولكن من باب أهمية وضرورة السلام مع الحيوان، والتعامل الحَسَن مع الحيوان، وكيف أنَّه يُفرَض ألاَّ تتمَّ إنسانية الإنسان إلاَّ بإحسانه

---

[1] ميزان الحكمة/محمد الريشهري/ج٢/ص١٣٥٠.

للحيوان، لأنَّ إحسانه للإنسان مسألة طبيعية فهو مثيل لـه، وكما في بعض الأحاديث هو أخ له، باعتبار (**كلُّكم لآدم وآدم من تراب**)، و(أنَّ الإنسان مع أخيه الإنسان سواسية)، على قول النَّبيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ):-

﴿أبناء آدم كأسنان المشط﴾

لهذا إكرامه واحترامه وعمله من أجل أخيه الإنسان، أو مداراته له هذا ضمن واجبه، ولكن يمكن أنَّ الإنسان ضمن بيئته لا يعطي للحيوان حقَّه.. اللهﷻ، في كثير من الأحاديث القدسية أو غير القدسية المروية عن النَّبيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ) أو روايات مباركة عن الأئمَّة المعصومين(عليهم السلام) تُؤكِّد ضرورة التعامل الحسن مع الحيوان، بمعنى: السلام مع الحيوان.

لهذا نرى الحديث الشريف يُؤكِّد على أهمِّيَّة وجود أخلاق عملية في المجتمع، فكلٌّ يعرف ما له وما عليه، ويسعى كلُّ فرد من أبناء المجتمع أن يُقدِّم ما هو أفضل.

في الحقيقة، ليس هناك أحد لا يتمكَّن من الإساءة، ولكنها تكون نقاط ضعف في الإنسان، وتكون أرقاماً سلبية في حياته، في سلوكه، في أخلاقه، في سمعته، وهذه النقاط السلبية نتائجها هي في الأصل فردية، ولكن إن استمرت تكون لها نتائج مجتمعية سيئة.

بعكس إذا حُفظِت الحدود، دائماً تجعل مكانة الفرد محفوظة

ضمن الجماعة، وتجعل نظرة الجماعة إلى الفرد جيِّدة، وتجعل تعامل الفرد مع الفرد بأخلاق، وتعامل الجماعة مع الجماعة بأصول.

لأنَّ هناك ضوابط، وهي التي نُسمِّيها بمفردات إيمانية، مفردات إنسانية، مفردات أخلاقية، من مجموعة قِيَم، بالإضافة إلى المفردات الوطنية.

السلام.. يحتاج تفاؤلاً

نرى الحديث الشريف يتسلسل في موضوع العلاقات، ويمكن أنَّ الإنسان الذي لا يحمل مقدِّمة عن أهمية العلاقات وآثارها الإيجابية وآثارها السلبية، يتصور عدم جدوى هذا النوع من الأحاديث والتأكيدات الإيمانية والإنسانية عليها. ولكن عندما يتفحَّص الحالة، فسيرى أنَّه لهذه التأكيدات الكثير من الإيجابيات، التي تجرُّ السِّلْم والسعادة للفرد، والتي لها آثار كبيرة بنتائجها للسِّلْم والسعادة في المجتمع.

لهذا، وتأكيداً لما أقول: هناك الكثير من السلبيات المجتمعية: حالات المُلاسنة ما بين الأشخاص، المُلاسنة ما بين مجموعة ومجموعة، تكون نتيجة أمور طفيفة.

على سبيل المثال: هناك الكثير من السلبيات تحصل في بعض مجتمعاتنا، فمثلاً: إنَّ شخصاً من الأشخاص يحمل في نفسه شيئاً

على الآخر، لأنَّه مرَّ ولم يُسلِّم عليه، وإذا كان هو الأكبر وذاك هو الأصغر، فحجَّته معه، كيف لا يُسلِّم عليَّ وأنا الأكبر منه؟...

وكما يتصوَّر الكبير أنَّها إساءة واضحة إليه، خصوصاً أنّ هناك معرفة فيما بينهما، ومع هذا لم يلتفت الصغير في السِّنِّ إلى هذه المعرفة، لم يلتفت إلى هذه الجِيرة، لم يلتفت إلى هذه الزمالة، لم يلتفت إلى هذه الأُخوَّة، أو العلاقة الموجودة فيما بينهم.. وبذلك تكون مشكلة، وتكون هناك اصطدامات لفظية وكلامية لسانية، ويمكن أن تتطوَّر إلى ما هو أكثر وأكثر، بسبب بسيط جداً، بسبب كلمتين، لو كان قد قالها الصغير في السِّنِّ إلى الأكبر منه سِنَّاً لما حصل كلُّ ذلك. هذا يحدث بسبب عدم مراعاة القِيَم، وتناسي الأعراف السليمة.

كأنَّ الإسلام يريد أن يُلفِت أنظارنا إلى هذه المواقف: في الحالة التي ذكرناها: يعتقد الكبير أنَّ ذاك الذي هو أصغر منه لم يُرِدِ احترامه، ولهذا لم يُسلِّم، وكذلك بقية الصور.

ويمكن أنْ نَرَى في بعض مجتمعاتنا، هناك ممَّن يسير على قدميه، وهناك مَن هو جالس في مركبته (السيارة) وعندما لا يُسلِّم الراكب على الماشي، تأتي ظنون شيطانية في بعض الأوقات، لأنَّه ليس كلُّ المجتمع يعمل على (**إحمل أخاك على سبع وسبعين مَحْمَلاً من الصحة، فإن لم تجد فقل لعلَّ له مَحْمَلاً**).. ولهذا يوسوس له الشيطان، ويتصوَّر أنَّه تكبُّراً منه لم يُسلِّم عليه، باعتبار أنَّه راكب

سيارة، أو ما شابه، كلٌّ في وقته وزمانه، ولهذا لم يلتفت إليَّ ويُسلِّم، وبذلك من (لا شيء) تكون مسألة سلبية مجتمعية.

والحال، سواء كان في الصورة الأولى أو الصورة الثانية أو حتَّى إن أردنا أن نتحدَّث بالصور الأخرى، ضمن ثقافة السِّلْم والسلام الاجتماعي.

المفروض: أنَّ المارَّ أو الصغير أو الراكب يبدأ الآخر بالسلام، ولكن إن لم يحصل ذلك، ولم يُسلِّم، المفروض أن يحمله على الغفلة، عدم الالتفات، والكلُّ تمرُّ به حالات غفلة، والكلُّ يدَّعي أنَّه في بعض الأوقات لم يلتفت إلى مسألة معيَّنة وإلى شخص معيَّن وما شابه وشاكل ذلك.

إذن، عدم الالتفات مسألة واردة، لِمَن يحمل ثقافة ومبدأ السِّلْم والسلام الإيماني، الإنساني، الوطني، يحمله كقيمة أخلاقية أساسية ورئيسية في بناء نفسه، وفي بناء المجتمع، يعطي الأعذار للآخر.

هذه الأحاديث هي من أجل تأكيد تحصين المجتمع، كلٌّ يقوم بما عليه، ويلتفت لما عليه، الصغير يلتفت إلى أنَّه من حقِّ الكبير عليه أن يُسلِّم على الكبير، كذلك من حقِّ الإثنين على الواحد أن يُسلِّم عليهم، وكذلك تتوسَّع من حقِّ الكثير أن يُسلِّم القليل عليهم، ومن حقِّ الماشي أن يُسلِّم الراكب عليه، ومن حقِّ القائم أن يُسلِّم المارَّ عليه، ومن حقِّ الجالس القاعد أن يُسلِّم القائم عليه.

فهذا النوع من الأحاديث له مردودان إيجابيان:

المردود الأول: إعطاء ثقافة إيمانية إنسانية أخلاقية.

المردود الثاني: تجعل حصانة للمجتمع من الظنِّ السيء فيما بينهم، والذي يحمل ثقافة السِّلْم والسلام دائماً يعمل جاهداً من أجل أن يبعد نفسه ويبعد الآخرين عن الظنِّ السيئ، لأنَّ وجود الظنِّ السيئ ممَّا يُسيء إلى ثقافة السِّلْم والسلام.

الفصل الثالث

المبحث الثاني

ناشئة السلام.. هم رجال السلام

ناشئة السلام.. هم رجال السلام

في موضوع السِّلْم والسلام، النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يُلفت أنظارنا إلى مسألة غاية في الأهمية، مسألة رئيسية في حياتنا، وهي:-

مسألة الاهتمام بالناشئة، واحترام الناشئة، فالاهتمام بهم واحترامهم ممَّا يُؤكِّد القوة في دواخلهم، بأن ينموا وهم أقوياء.

مرَّة ينمو الإنسان وهو مهزوز، ضعيف.. ومرَّة ينمو الإنسان (وخصوصاً في مرحلة من الصبا إلى الشباب) وهو قويٌّ، وهو واثق من نفسه، كلما يكون قويَّاً في داخله وواثقاً من نفسه، سيلتفت إلى قابلياته وقدراته ويحترمها.

أمَّا إذا لم يُعامَل بالمعاملة الحسنة والجيِّدة، بالاحترام والتشجيع، فهو:

أولاً: سيبقى على عقلية الطفولة.

ثانياً: لا يلتفت إلى قابلياته وقدراته، لأنَّه في صباه لابدَّ له من الالتفات إلى القابليات والقدرات، ويمكن أن يُوظِّف بعضها وهو في صباه، ويمكن أن يُوظِّف بعضها الآخر بعد تجاوز مرحلة الصبا وإلى بداية الشباب.. كلٌّ ذلك له دخل في تعامل الآخرين معه، وزرع الثقة في نفسه.

من هنا، نحن دائماً ننصح المعلمين والمدرسين: ألاَّ يُعيبوا على التلاميذ، وإنَّما يُؤكِّدون ثقتهم بأنفسهم، ويُنبِّهونهم إلى أخطائهم، وأنَّ لديهم القدرة على تصحيح هذه الأخطاء.

ضمن هذه التربية الإلهية التي يعطيها النَّبيُّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) للأمَّة: يُؤكِّد على ضرورة وأهمية السلام على الصبيان.

هو صبيٌّ ويُسلِّم عليه شاب، أو يُسلِّم عليه رجل كهل (والكهولة لها مراتب متعدِّدة، كما أنَّ الشباب له مراتب متعدِّدة، وبعد ذلك يصل إلى مرحلة أكبر) عندما يُسلِّم على الصبيِّ هذا الشاب أو هذا الكهل أو هذا الشيخ، يشعر بوجوده، وعند ذلك يقوم بمحاسبة نفسه في كلِّ صغيرة وكبيرة، فيقول مع نفسه: أنا يُلتَفت إليَّ، فيبتعد بمقدار ما يستطيع، أو شيئاً فشيئاً عن الأعمال الصبيانية، يبتعد شيئاً فشيئاً عن بعض الأخطاء التي كان يمارسها (احتمال) في طفولته، أو حالة العبثية التي كان يعيشها وهو طفل.

لأنَّه ينظر إلى نفسه وكأنَّ له مكانة، له أهمية، له احترام، ودليل الاحترام له: أنَّ من هو أكبر منه (الذي هو الشاب، يمكن أن يكون هذا الشاب طالب جامعة، ويمكن أن يكون الكهل مدرساً في الجامعة، ويمكن أن يكون الأكبر من الكهل دكتوراه في اختصاصه، وضمن كلِّ المجالات) يُسلِّم عليه، ولهذا سيزرع الثقة في داخله.

بمقدار ما نزرع الثقة في داخل صبياننا ونفوسهم، ينمون

صحيَّاً.. بعكس لو كان المجتمع يُكسِّر دواخلهم بأن يقول له: أنت لا قابليات لك، لا فَهْمَ لك، لا تتعلَّم.

بذلك: إمَّا أن يُصدِّق بذلك ويترك نفسه، وإمَّا أن لا يُصدِّق ويقول هذه نظرة الآخرين لي، فلماذا أُجهِد نفسي؟!.. ولهذا يترك عند ذاك الوقت نفسه ويكون إنساناً هامشياً.

المطلوب: تأكيد الثقة في داخله من أجل أن يكون إيجابياً، إنساناً مثمراً، إنساناً غُذِّيَ بالثقة في داخله، فهو حملها، وعندما حملها سوف يعطيها للآخرين، إنساناً تعامل الآخرون معه بالسِّلْم والسلام، ولهذا هو يختزن ذلك، ويتعامل هو مع الآخرين بالسِّلْم والسلام.

لهذا النَّبيُّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول في حديثه الشريف:-

﴿خمس لا أَدَعَهُن حتى الممات :الاكل على الحضيض مع العبيد، وركوبيَ الحمار مؤكفاً، وحلبيَ العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان لتكون سُنَّة من بعدي﴾ [1]

وهذا له مدلول عظيم: صبيٌّ وإذا به يرى أنَّ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد سلَّم عليه، فهذا له تربية نفسية، وله تشجيع، وله حثٌّ، وله تقوية، وتكوِّن عنده مناعة في داخله، ودائماً يرى نفسه وكأنَّه ملحوظ من قِبَل الآخرين.

فكانت سُنَّة النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه إذا مرَّ على صبيٍّ أو

---

[1] وقد وَرَد نظيره في وسائل الشيعة/الحر العاملي/ج٨/ص٤٤١.

على صبيان سلَّم عليهم، وأراد من الناس، أراد من الأُمَّة، أراد من كلِّ الآخرين أن يعملوا بهذه السُّنَّة، أن يعملوا بهذه الأخلاق.

فيقول الحديث الشريف:-

﴿والتسليم على الصبيان﴾

كأنَّ النَّبيَّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يُعلِّل ذلك، من أجل أنَّ الأُمَّة إذا رأت التعليل ستلتزم به، وكأن تعليل النَّبيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في سلامه على الصبيان، بقوله:-

﴿لتكون سُنَّة من بعدي﴾

يعني: المفروض أن يسير أفراد الأُمَّة على هذه السُّنَّة، أن يتمسَّكوا بها.. أليست مصادر التشريع عند الأمَّة هي:-

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: السُّنَّة الشريفة.

ثالثاً: قول المعصوم(عليه السلام)

ويجب على الأُمَّة التمسُّك بالقرآن أولاً، وبالسُّنَّة الشريفة ثانياً، وبقول المعصوم ثالثاً.. لهذا أراد أن تكون هذه سُنَّة وأن تتمسَّك الأُمَّة بها.

كلُّ ذلك من أجل تأكيد ثقافة سِلْم وسلام عند الصغار والكبار، عند كلِّ طبقات المجتمع، حتَّى يمكن أن نصل إلى ثقافة التعايش السِّلْمي العملي.. يعني: نصل إلى المطلوب.

الفصل الثالث

المبحث الثالث

السلام.. مساواةٌ لا طَبَقية

السلام.. مساواة لا طبقية

مسألة السِّلْم والسلام هي ليست مسألة إضافية على المنهج الإلهي أو مسألة مُكمِّلة للمنهج الإلهي، أو (بحسب تعبير الفقهاء) مسألة مستحبَّة، فعندما يُقسِّمون الأحكام فيُقسِّمونها إلى خمسة أقسام: الواجب، والحرام، والمستحب، والمكروه، والمباح.. فموضوع السِّلْم والسلام يأخذ الدرجة العليا في ترتيب التربية الإلهية.. هذه الأوامر الخمسة هي من حيث عمل المُكلَّف وليس من حيث التشريع الإلهي، غير مرتَّبة في نفسها، وإنَّما مرتَّبة مع غيرها.

يعني: ليس معناها إن لم يكن الأول فالثاني، وإن لم يكن الثاني فالثالث، وإن لم يكن الثالث فالرابع... وهكذا.. وإنَّما بحسب موضوع المكلَّف، فهناك أوامر تجب على كلِّ مكلَّف، وهناك أوامر تَحْرُم على كلِّ مكلَّف، وهناك أوامر هي مستحبَّة للمكلَّفين، وهناك أوامر مكروهة، وهناك أوامر مباحة، وعلى الجميع، ضمن الظروف الطبيعية المعتادة.

الله ﷻ السلام.. كلّفنا السلام

مفردة السِّلْم والسلام هي من الأمور الواجبة، وذلك للأوامر

الإلهية التي جاءت بصيغة الأمر، فالتشريع الإلهي عندما يأتي بصيغة الأمر يعني: الوجوب، (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً**)، فكلمة (**ادْخُلُواْ**) أمر، يعني: المطلوب من المُكلَّف تنفيذ هذا الأمر الإلهي، لأنَّه جاء على أساس الأمر، ودائماً الأمر ينصرف إلى الوجوب، إذا لم يكن هناك قرينة لانصرافه عن الوجوب إلى الاستحباب.

ما نراه في بحوث السلام (وما ذكرناه وما سنذكره) يُؤكِّد أنَّ مسألة السلام مسألة أساسية، سواءاً سلام الإنسان في داخله، مع ربِّ العالمين، أو سلام الإنسان في كلامه ونطقه ولفظه، أو سلام الإنسان مع أخيه الإنسان، في تصرفاته وعمله وسلوكه وأخلاقه.

ولا فرق في توجُّه الوجوب الإلهي، سواءاً إلى الفرد أو إلى الجماعة والمجتمع. وكلُّ أمر إلى الجماعة هو ينحلُّ إلى الأفراد، ولهذا لا مجال للنقاش في وجوب الدخول في السِّلْم، لا مجال في نقاش مفردة (وجوب أن يعيش الإنسان السِّلْم ما بينه وبين الله ﷻ).

بعد أنَّ بيَّنَّا أنَّ مفردة السِّلْم والسلام ما بين الإنسان وبين ربِّه، يعني: الاستسلام لله ﷻ، ومن علامات سلامة العبودية ما بين الإنسان وربِّه هو: سلامة الاستسلام لله ﷻ، وأن يكون استسلاماً عملياً، هذا في جانب العلاقة الداخلية مع الله ﷻ.

في جانب القول والعمل، فالشريعة حرَّمت كلَّ الألفاظ التي من

شأنها الإساءة للآخرين بكلِّ أنواعها، سواءاً الغيبة أو النميمة أو البهتان أو الكذب أو الغش أو الاستهزاء بالآخرين والتقليل منهم، أو ما شابه وشاكل ذلك، ولهذا فإنَّ السلام في اللسان من الأمور الواجبة، أي: السلام العملي.

بما أنَّ السلام سُنَّة نبوية شريفة، إذن تطبيق هذه السُّنَّة أصبح أمراً واجباً، كما جاء بالحديث الشريف:-

﴿مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي﴾[1]

إنَّ الجانب اللفظي للسلام يأخذ حكماً معيَّناً، ولكن الجانب العملي للسلام حكمه شامل.. ولهذا في الجانب العملي، ما بعد اللفظ يكون السلام في السلوك، والأخلاق، والتصرفات، والعمل، فلا يجوز أيُّ نوع من الأنواع التي تُضادُّ السلام. يعني: لا يجوز أيُّ نوع من أنواع الاعتداء على الآخر، ومَن يعتدي على الآخر، فله عقوبات كثيرة، ويكون مصداقاً من مصاديق (الذين يَسعون في الأرض فساداً).. لهذا نرى أنَّ النَّبيَّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وبعده الأئمَّة الطاهرين(عليهم السلام) عملوا من أجل تأكيد هذه الثقافة، ليس فقط على سبيل التبيان للآخرين، وإنَّما على سبيل العمل بها مع الآخرين.. في قول النَّبيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والذي ذكرناه سابقاً، حيث يقول:-

﴿خمس لا أَدَعَهُنَّ حتَّى الممات: -(من هذه الخمسة)-

---

[1] جواهر الكلام/الشيخ الجواهري/ج٢٩/ص١٢.

والتسليم على الصبيان لتكون سُنَّة من بعدي﴾

لابدَّ أن نلتفت إلى أمور:-

الأمر الأول: أهمية السلام كلفظ، والسلام كسلوك وأخلاق.

الأمر الثاني: هذه المفردة المقدَّسة والتي هي من أسماء الله ﷻ، لابدَّ أن تكون مع كلِّ الطبقات، ومع كلِّ المستويات، فالمطلوب: السلام النظري أو اللفظي والذي يجرُّ ويوصل إلى السلام العملي لكلِّ الفئات، مع كلِّ الناس، مع كلِّ الآخرين، مع الإنسان الآخر أيَّاً كان.

لهذا لا يعني أنَّ السلام مع المثيل، وكأنَّه هناك من يتصور أنَّه لابدَّ له أن تكون علاقاته السِّلْمية مع من هو بمستواه، ولهذا دائماً أو الكثير منهم يُسلِّم على من هو بمستواه، سواءاً كانوا علماء، متخصِّصين، أصحاب مهن معيَّنة.. وهكذا.

الإسلام يعمل من أجل تربيتنا على أنَّ تكون ثقافة السلام، ثقافة عامَّة، لا تحدُّها حدود، دائماً المطلوب أن تكون صفة يتخلَّق بها الجميع، كلٌّ بمقدار ما يفهم من هذه الصفة، وبمقدار طاقاته وقابلياته من أجل تفعيلها.. كلُّ ذلك من أجل تأكيد ثقافة السلام.

الأمر الثالث: المطلوب من مفردة السلام أن تكون مفردة مجتمعية، يعني: لا تقتصر بين طبقات معيَّنة، فمثلاً لا يقتصر السلام ما بين العاملين في السوق المعيَّن، أو المحلة المعيَّنة، أو أنَّ هؤلاء لا يرون لنفوسهم المكانة بالسلام على الأكبر، أو أنَّ

الأكبر لا يرى لنفسه السلام على مَن هو دونه.

هذه الأفكار التي هي ليست من الإسلام في شيء، لأنَّ الإسلام دائماً يعطي التساوي ما بين البشر، والتفاضل يكون بدرجة التمسُّك بالقِيَم الأخلاقية.. التفاضل يكون بدرجة الحرص على بقاء القِيَم الإلهية، نظرياً وعملياً، وهذا مفاد الآية الكريمة:-

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]

إذن، مسألة السِّلْم والسلام ليست لطبقة دون أخرى، ولا تختصُّ بها طبقة دون أخرى، ولا يحجزها مكوِّناً عن مكوِّن، سواءاً كان هذا المكوِّن أبناء ديانات أو أبناء طوائف ومذاهب، أو أبناء قوميات.

[1] سورة الحجرات/آية/١٣.

الفصل الثالث

المبحث الرابع

السلام.. سُنَّةٌ مُحمَّديَّةٌ

السلام.. سُنَّة محمَّدية

الذي نستفيده من قول النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿خمس لا أدعهنَّ حتَّى الممات﴾

وكان من جملة هذه الخمسة:-

﴿والتسليم على الصبيان لتكون سُنَّة من بعدي﴾

النَّبيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذلك وعَمِلَ بذلك من أجل أن يزرع هذه الثقافة في نفوسهم، وأن تنمو مع نموهم، وأن تكبر بكبرهم.

دائماً أيُّ مسألة عندما يعيشها الإنسان في صغره تكون معه في حياته، وتتركَّز أكثر، كلما يكبر.. فإذا كانت هذه من الأمور حسنة، فستكون حياته ممَّن تحمل الحسنات، وإن كانت (والعياذ بالله) من الأمور السلبية فستكون حياته بشكل آخر، وهذا يعني: ضرورة الاهتمام بالصبيان، ضرورة الاهتمام بالصغار، ضرورة الاهتمام بالأطفال.

هناك في بعض مجتمعاتنا وبعض بيوتنا وبعض أسرنا، عندما يدخل صاحب الدار ويرى الأطفال، لا يُسلِّم، لكونهم أطفالاً، بعكس ما لو رأى الكبار فيُسلِّم عليهم. هذا السلوك الخاطئ يفرِز ما يلي:

أولاً: يؤثِّر على نفسية الصبي، نفسية الطفل، وكون أنَّه غير مُعتَنى به.

ثانياً: أنَّه لم يُوصِل إلى الصغير الرسالة السليمة في التربية الإلهية، أليس الكلُّ مطلوب منهم: حَمْل رسالة الشعور بالمسؤولية مع كلِّ المجتمع، وخصوصاً مع الأسرة وأهل البيت، يقول (تَعَالَى):-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[١]

وإذا بنا نرى أنَّ البعض عندما يرى أطفاله، يبتعد عن السلام عليهم أو لا يُسلِّم عليهم، فمن ناحية: أساء لهم نفسياً، ومن ناحية أخرى: هو لم يؤدِّ واجبه في إيصال رسالة السلام وبشكلها العملي لهؤلاء الصبيان والأطفال.

بالإضافة إلى ذلك، إنَّ الترفُّع عن السلام يعني: وجود درجة من درجات الكِبْر في داخله، بعكس ما لو أنَّ الكبير يبادر الصغير بالسلام، فإنَّه يغرس الثقة في نفس الصغير بدرجة ما، ويُكوِّن علاقة طيِّبة ما بين الصغير وبينه، ويأخذ الصغير صورة جميلة عن الكبير وحبِّه له.. هذا كلُّه من جهة.

من جهة أخرى: تأكيد النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) على أنَّه كان يُسلِّم على الصبيان لعدَّة غايات:-

الغاية الأولى: من أجل زرع مفردة السلام في نفوسهم.

الغاية الثانية: اللُحْمَة ما بين الكبار والصغار حتى تبقى دائمة

---

[١] سورة التحريم/آية/٦.

ومستمرة.

الغاية الثالثة: وكما يقول (عليه أفضل الصلاة والسلام):-

﴿لتكون سُنَّة من بعدي﴾

من أجل أن تستمر الأُمَّة عليها.

الغاية الرابعة: أنَّها سُنَّة.. وكون أنَّها سُنَّة، يعني: من الأمور الواجبة، فعندما يُوجَّه السؤال إلى أيِّ فقيه عن مصادر التشريع فيقول: القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة وقول المعصوم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

وهنا، تأكيد من النَّبيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على أنَّ هذه المسألة ضمن السُّنَّة، يعني: مطلوب من الأُمَّة الاستمرار عليها، وأن تكون من الأمور الواجبة.

زيارات.. السلام

ذكرنا في بعض بحوث الآية الكريمة في سورة النور:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]

وبيَّنَّا أنَّ الآية الكريمة:

أولاً: تريد السِّلْم والسلام ما بينك وبين أهل الدار.

---

[1] سورة النور/آية/٢٧.

ثانياً: ومن ثمَّ تريد السِّلْم ما بينك وبين الدار نفسه.

فهناك سِلْم ما بين الإنسان والإنسان، وهناك سِلْم ما بين الإنسان والحيوان، وهناك سِلْم ما بين الإنسان والماء، وهناك سِلْم ما بين الإنسان والجماد، وهناك سِلْم ما بين الإنسان والبيئة.

فحتَّى لو كان هذا البيت من دون أهله، لابدَّ أن تعيش حالة السِّلْم ما بينك وبينه، يعني: لابدَّ أن تحترمه، فدائماً الدخول إلى البيت لابدَّ أن يتمَّ من بابه.

أمَّا حالة الاقتحام والدخول إلى البيت من أعلى هذا خلاف الاحترام، لا لأهله ولا له، خلاف السلام ما بينك وبين أهله، وما بينك وبين هذه المجموعة من الجماد.

وقد ذكرنا أنَّ الاستئناس يعني: الأذن، وهناك رأي جميل: كأنَّه العادة في مسألة السلام ضمن العلاقات، أن يكون هناك سِلْم وسلام ما بينك وبين الآخر قبل داره، وهذا ما نصَّت عليه بعض الأحاديث والروايات، في كثير من الأوقات، مسألة الذهاب إلى بيت الآخر أو زيارة الآخر تكون مسألة متطورة في العلاقة، ولهذا لا يتسنَّى للجميع أن يبدأوا بزيارة الآخرين.. إذن المطلوب أن تكون علاقة ما بينك وبين الآخرين قبل زيارتك لبيتهم، هذه العلاقة هي التي ستُبرِّر له زيارتك لبيته.

الحقيقة هذه المسألة، فيها وجهان مهمَّان:

الوجه الأول: المطلوب أن تكون العلاقة ما بينك وبين الآخر

مجتمعية، يعني: تتمثَّل في الشارع وفي المعمل وفي الدائرة وفي المصنع، وفي كلِّ المرافق الحيوية والحياتية في دنياك، ليس بالضرورة أن تذهب إلى بيته، ولكن وحفاظاً على السِّلْم والسلام، إن أردتَ أن تذهب إلى بيته فَخُذْ منه الأذن بالذهاب، فدائماً من مفردات الحِرص على السِّلْم والسلام: تقدير ظروف الآخر، فليست دائماً ظروف الآخر مؤاتية لأن تزوره، وتذهب إليه في داره.

يعني: ينبغي أن تكون علاقة السِّلْم والسلام هي علاقة مجتمعية وليست علاقة خواص، فدائماً مسألة الزيارة للبيت، لها خصوصية معيَّنة، ومفردة السِّلْم والسلام هي علاقة عامَّة، وإنَّما الذهاب إلى البيت يأتي بعد إتمام المرحلة الأولى.

الوجه الثاني الذي يستفاد كذلك من الآية: إنَّ اللهﷻ يريد من الأُمَّة ككلٍّ: أن تستثمر أوقاتها بأحسن ما يمكن، باعتبار أنَّ الحياة فرصة، ولهذا لا يريد التفريط بالوقت بكلِّ صورة من الصور، بل المطلوب: استثماره بكلِّ ما يمكن للإنسان، الآية الكريمة تريد أن تُؤكِّد: أنَّ الزيارة للآخرين لابدَّ أن تكون هادفة، يعني: لابدَّ أن تكون لسبب، وهذا يُفهَم من معاني الاستئناس برأي الآخر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

فإذا استأنستم وكانت العلاقة ما بينكم علاقة ودِّية، على سِلْم

وسلام، وكان هناك هدف للذهاب إليه، فليكن ابتداؤك كذلك بالسلام، وسلامك على الجميع، سلامك على أهلها كلِّهم.. يعني: ليس على فرد منه، ولا أنَّك تخصُّ شخصاً معيَّناً، أو طبقة معيَّنة، أو ثقافة معيَّنة، أو درجة علمية معيَّنة، أو لا تلتفت إلى كبار السنِّ الموجودين، أو لا تلتفت إلى الصبيان والأطفال الموجودين، وإنَّما من ثقافة السِّلْم والسلام: أن يكون للجميع، ولهذا تقول:-

﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

حرصُ الإسلامِ شديدٌ على موضوع السِّلْم والسلام، ولهذا لم تُؤشِّر الآية إلى أنَّك حتَّى تُسلِّم على صاحب البيت، أو كبير من في البيت، أو صديقك الذي قصدتَه، وإنَّما المطلوب مع دخولك إلى الدار ورؤيتك للجميع: أن تُسلِّم عليهم جميعاً.

وهذا واضح من قوله (تَعَالَى):-

﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾

يعني على الجميع.. هذا هو المبدأ الإلهي في مسألة السِّلْم والسلام.. والحقيقة نرى هناك الكثير والكثير من الآيات الكريمة التي تُؤكِّد على هذه الثقافة.

السلام.. دعوة إلهية مستمرة

اللهﷻ وإنْ كان هو الخالق وهو المالك وهو الواهب للإنسان

كلَّ شيء، ولكن مع ذلك يتعامل مع الإنسان برحمة، يعني: يتعامل معه بسلام، ولهذا يعطينا المنهج مع تليين للمنهج، يعطينا المنهج ولكن يعطينا هذا المنهج بشيء من التدرُّج، وكأنَّه يمرحل هذا المنهج، وهذه الثقافة، ولهذا في مفردة السِّلْم والسلام نراه:

المرحلة الأولى: يدعو إلى السِّلْم والسلام، ودائماً مفهوم الدعوة مفهوم تشجيعي، مفهوم حثِّي، مفهوم ترغيبي، مفهوم فيه درجة من درجات العطف على الآخر، ولهذا نراه في سورة يونس يقول (سبحانه وتعالى):-

﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١]

هنا، وكأنَّ فيه معنى الحثِّ والتشجيع على مسألة التمسُّك بثقافة السلام، وتصيير النظرية إلى عمل.. إذن المرحلة الأولى: هي حثٌّ ودعوة.

المرحلة الثانية: بعد ذلك يُؤكِّد (سبحانه وتعالى) على أنَّ مفردة السلام هي ضمن منظومة أخلاقية قِيَمية، على أساسها يُبنَى المجتمع، وهذا نفهمه من تأكيد الآية على مفردة (**دَارِ السَّلاَمِ**)، الدار لا يمكن أن يُبنَى من دون منظومة.

فبالوقت الذي يدعو ويحثُّ على الدخول إلى دار السلام، ولكن يُبيِّن على أنَّ الدخول لهذه الدار هو الدخول في منظومة السلام،

---

[١] سورة يونس/آية/٢٥.

منظومة السِّلْم والاستسلام لله ﷻ وللكلام الطيّب وللعمل الصالح، الذي فيه صالح الناس وكلِّ الناس.

من الممكن أنَّ هناك بعض المتخصِّصين في اللغة يذهب إلى أنَّ الدعوة من الأعلى أَمْر، والدعوة من المماثل طَلَب، والدعوة من الأصغر رجاء.

وهو قول محترم، ولا مانع من الجمع ما بين ما بيَّنَّاه وهذا القول، ولكن بخصوص مفردة السِّلْم والسلام، هناك أقوال إلهية، آيات قرآنية أخرى، تُؤكِّد الأمْرية فيه، وجاءت بصيغة الآمرية.

إذن، اقتضت الحكمة الإلهية أن يتدرَّج في موضوع السِّلْم والسلام مع المجتمع، خصوصاً وأنَّه نزل على مجتمع مُلِئ بالعداء والعداوة، وكأنَّه من بعض جهاته كمجتمعاتنا اليوم، بل أنَّه كان فيه حتَّى مع العداوة والعدوان، كان فيه جهات جيِّدة وجميلة ومشرقة والتي عبَّر عنها النَّبيُّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):-

﴿إنَّما بُعثت لأُتمِّم مكارم الأخلاق﴾

فهناك أخلاق وهناك قِيَم، والآن نرى بعض مجتمعاتنا: لا قيمة فيها ولا أخلاق.

قيمتها: المال، واهتمامها بالغرائز والشهوات، والله ﷻ وهو الحكيم وهو الخالق يعلم أنَّ الأزمنة ستتكرَّر، والعلم الإلهي هو علم مطلق، يعني: علمه بالمستقبل والحاضر كعلمه بالماضي، ومن حيث موضوع صفة الجاهلية صفة ثقافية وليست صفة زمنية،

فالجاهلية ثقافة سلبية، كلما تلبَّست المجتمعات بهذه الثقافة فينطبق عليها الاسم، وتكون مصداقاً من مصاديقه.. ولهذا دائماً اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون هناك ترتيب:

ففي البداية: دعوة، بقوله (تَعَالَى):-

﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]

ومع هذه الآية الكريمة: التي تدعو الناس إلى السلام والدخول إلى دار السلام.

يجب أن نقف عند هذه الآية الكريمة وقفة تأمُّل لاستنطاقها، لغرض فهمها فهماً عميقاً. لقد فسَّرنا هذه الآية المباركة في تفسيرنا (البيان والتبيان في تفسير وتنزيل القرآن) ج١٤/ص٩٤ وما بعدها فقلنا:

(بعد أن حذَّر القرآن الكريم من الاغترار بالحياة الدنيا والعمل لها وحدها، رغَّب في العمل للفوز بدار السلام، وهي الجنَّة.

والمعنى: والله القادر على كلِّ شيء... الغنيُّ عن العالَمين، يدعو الناس إلى دار السلام، وهي الجنَّة بِدَعْوَتِهِم إلى الإسلام والعمل بشريعة القرآن.

وسُمِّيت الجنَّةُ دار السلام، لأنَّ السلام من أسماء الله ﷻ، لسلامة أهلها من كلِّ آفةٍ ومكروه، أو لأنَّ اللهﷻ، يُسلِّم عليهم

---

[1] سورة يونس/آية/٢٥.

فيها، أو لأنَّ الملائكة على أبوابها يقولون للداخلين فيها كما جاء في سورة الرعد/آية/٢٤:-

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

أو لأنَّ أهل الجنَّة يُسلِّم بعضهم على بعضٍ فيها كما قال (تَعَالَى) في سورة إبراهيم/آية/٢٣:-

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (انتهى).

وأقول هنا: ما دامت الجنَّة هي دار السلام، فاللهﷻ، يقول في سورة الرحمن/آية/٤٦:-

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

وهذه الآية الكريمة تعني: أنَّه مَن خاف مقام اللهﷻ وعمل من أجل تحقيق السلام بما يتضمَّن (بكلِّ مُتطلَّباته) من تربية للنفس والأخلاق والسلوك والحبِّ للهﷻ، والمَحبَّة للناس جميعاً، لأنَّ مَن ملأ قلبَه بالحبِّ للهﷻ، فلا يبقى مكان فيه للحِقد والبُغْض وكراهية الآخرين، فيعيش في حالة قُرب من ربِّ العالَمين، وعلاقةٍ جيِّدةٍ وجميلة مع الآخرين، وبذلك يعيش السعادة في الحياة الدنيا، وذلك هو الفرق بين جنَّة الدنيا وجنَّة الآخرة، فجنَّة الدنيا يعيش الإنسان السعادة عندما يُحقِّق مُتطلَّبات السلام وجنَّة الآخرة يعيش حالة الرضا والذي هو أعلى من كلِّ شيء لقوله (تَعَالَى):-

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [١]

---

[١] سورة آل عِمران/آية/١٥.

وهكذا تدعونا الآية الكريمة بأن ندخل بالسلام إلى دار السلام وفي جنَّة الدنيا وبعدها بوالسلام ندخل جنَّة الآخرة.

وباعتبار أنَّ السلام هو اسم من أسماء الله ﷻ، كما وَرَدَ سورة الحشر:-

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

فهو (سبحانه وتعالى) يدعو إليه: هلمُّوا إليَّ يا أحبائي.. هلمُّوا إليَّ يا عبادي.. هلمُّوا إليَّ يا خَلْقي، فَمَن أرادني فأنا قريب إليه، ومَن دعاني فأنا مُجيب له، وهذا تأكيد إلى ضرورة توثيق العلاقة مع المبدأ، من أجل أن نُوثِّق العلاقة مع المنهج.. فبمقدار وضوح إيماننا بالمبدأ الذي هو الله ﷻ، السلام، ستكون قدرتنا على تفعيل هذا المبدأ (أي تفعيل السلام) حياتياً، وسلوكياً، وأخلاقياً.

---

[1] سورة الحشر/آية/٢٣.

خلاصة الفصل الثالث

١-فطرة الإنسان هي الوازع المغروس داخل ذات الإنسان، الذي يأمر الإنسان بالانقياد للخير والكمال والجمال.

٢-خيار الجانب العقائدي متروك لاختيار الإنسان وقناعاته، وعلى الإنسان أن يؤمن بالتعدُّدية واحترام رأي الآخرين ومعتقداتهم وبذلك يعمل على تحقيق مبدأ السلام والتعايش السلمي.

٣-الاعتقاد بالسلام هو شعور داخلي وبمقدار تطبيق هذا الاعتقاد على الواقع الخارجي يكون الإنسان قد تقدَّم نحو تحقيق السلام والسلم المجتمعي.

٤-إنَّ جوهر التقرُّب إلى الله (تَعَالَى) هو العمل الصالح الذي يُقدِّمه الإنسان لنفسه ولغيره، وهذا الـ(غير) سواءاً كان إنساناً أو حيواناً أو جماداً.

٥-إذا حُفِظَت الحدود، حُفِظَت الحقوق، وبذلك تتعضَّد الوشائج الاجتماعية وتتقوَّى العلاقات الإنسانية بين الفرد والفرد الآخر وبينه وبين الجماعة الواحدة وبذلك تتعزَّز الأواصر الإيجابية بين أبناء الأُمَّة.

٦-الإسلام العزيز يُثقِّفنا على ممارسة إفشاء السلام حتى مع

الأطفال، حتى تُغرَس في نفوسهم روح السلام والتعايش السلمي والمَحبَّة.

٧-تأخذ السُّنَّة النبوية الشريفة: التسلسل الثاني بعد القرآن الكريم في التشريع الإسلامي، والرسول(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد جعل السلام سُنَّةً من السُّنن النبوية الشريفة لأهمِّيَّة موضوع السلام في حياة الفرد والمجتمع.

٨-إنَّ الإيمان بثقافة السلام المنبعثة من الفهم العميق لمفهوم السلام بكلِّ جوانبه يُعطي للفرد والجماعة قوَّةً تُوحِّد الجميع وتبني جسور الوئام والانسجام بين الجميع.

٩-مثلما تُفرِز الفضيلة ثقافة إيجابية بنَّاءة، كذلك تُفرِز الجاهلية ثقافية سلبية هدَّامة، وعلى المجتمع الناضج الواعي أن يتمسَّك بثقافة الفضيلة، ثقافة الإخاء والسلام والمَحبَّة.

الفصل الرابع

ويتكوَّن من ثلاثة مباحث

المَبحث الأول:

الحياة الإلهية.. في دار السلام

المَبحث الثاني:

كون.. المحبَّة والسلام

المَبحث الثالث:

السلام.. إيجابياً واجتماعياً

الفصل الرابع

المبحث الأوّل

الحياة الإلـهية.. في دار السلام

الحياة الإلهية.. في دار السلام

نعم، إنَّ اسم اللهﷻ: السلام، ودعا (سبحانه وتعالى) إلى السلام، حثَّ عليه الناس جميعاً.. ولمَّا كان اسمه السلام، وبعد ذلك حثَّ ودعا ودفعَ إلى مفردة السلام، من أجل أن نُطبِّق قاعدة إيمانية وإسلامية، ودائماً القواعد تعني: الأسس، هذه القاعدة نفهمها من قول النَّبيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عندما قال:-

﴿تخلّقوا بأخلاق الله﴾

ونحن نؤمن أنَّ صفات اللهﷻ هي عين ذاته، لا يمكن أن تنفصل عنه، فعندما تأتي القاعدة الإسلامية الإيمانية النبوية بضرورة التخلُّق بأخلاق اللهﷻ، يعني: هذه الصفات لابدَّ أن نتخلَّق بها، هذه الصفات بالنسبة إلى واجب الوجود (والذي هو اللهﷻ) وحده، هي عين ذاته، ولكن بالنسبة إلى ممكن الوجود (والذي هو الإنسان) لا يمكن أن تكون هذه الصفات هي عين الذات، وإنَّما لابدَّ أن تكون هذه الصفات، بإرادة الإنسان يُصيِّرها إلى واقع خارجي وإلى حياة عملية، فهي تكون بمحض إرادته.

وللتوضيح، ممكن أن يكون الإنسان في حال من الأحوال كريماً، ولكن في حالٍ آخر يكون بخيلاً، وهكذا بقية صفات الإنسان ليست ذاتية وإنَّما صفات عَرَضية.

بالنسبة للإنسان.. باعتبار أنَّ الأحكام الإلهية ككلٍّ من حيث التطبيق هي باختيار الإنسان، كلُّ ذلك من أجل أنَّ للإنسان عقل، ولهذا من لطف الله وحكمته، جعله مختاراً، هذا من جانب.

ومن جانب آخر: أنَّ الاختيار يعني: الاقتناع، والاقتناع نتيجته: التبنِّي، ومن ثمَّ القدرة على بناء مجتمع متكامل، وهو المطلوب الإلهي من البشرية.. إذن، فقول النَّبيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):-

﴿تَشَبَّهُوْا بِأخْلاَقِ اللهِ﴾

صفاته (سُبْحَانَهُ) عين ذاته، وبعض هذه الصفات تُعلِّمنا أرقى القِيَم، كالعدل والرحمة والعلم.... إلخ. فنحن كبشر لابدَّ لنا أن نلتفت إلى صفات الخالق، وأن نحاول أن نتخلَّق بها، وأن نجعلها من الأهداف الأساسية والرئيسية لبناء ثقافتنا ولبناء أفكارنا، وبالنتيجة: بناء حياتنا، وعليها نعتمد في تربيتنا لأنفسنا، وفي علاقاتنا مع الآخرين.

فصفات الله (تَعَالَى) وأخلاقه من: العدل والعلم والقدرة والرحمة بالمستضعفين والانتقام من الجبارين والجود الذي لا حدَّ له، هي مؤشِّرات للسلوك في مجتمع الخلافة وأهدافٌ للإنسان الخليفة، فقد جاء في الحديث:-

﴿تَشَبَّهُوْا بِأخْلاَقِ اللهِ﴾[1]

من هنا، نفهم الدعوة إلى دار السلام، السلام: اسْمٌ للهﷻ،

---

[1] الإسلام يقود الحياة/السيد محمد باقر الصدر(قُدِّس سِرُّه)/ص١٤٧.

ودار السلام يُفرَض أن تكون هي الحياة التي يريدها الله (تَعَالَى)، فاللهﷻ يدعو البشرية لأن يدخلوا في دار السلام، يعني: يدخلون في الحياة التي مِلؤها السلام، التي مِلْؤُها الاطمئنان، التي مِلؤها الراحة، مِلؤها السعادة، مِلؤها الأمن، مِلؤها الأمان.

لهذا عندما تُذكَر الآية في سورة الحشر:-

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

ضمن الصفات الأخرى، لابدَّ أن نُؤمِن بها، كـ(**الْمَلِكُ**)، وهي بمعنى المالكية، وبمعنى الملكية.. و(**الْقُدُّوسُ**) هو الفرق ما بين الاسم (السلام) الذي يكون صفة للهﷻ، أو السلام الذي يكون صفة للإنسان.. السلام عندما يكون صفة للهﷻ باعتبار عين ذاته، يكون له قدسية (قُدُّوس).

أمَّا عين السلام الذي يتَّصف به الإنسان، يمكن أن يتَّصف ويمكن ألاَّ يتَّصف، لو اتَّصف به الإنسان لجلبَ درجة من درجات القدسية، لأنَّ مفردة السلام مفردة مقدَّسة، ومبدأ السلام مبدأ له تقديسه.

بالتأكيد أنَّ من معاني القدُّوس هو: التسبيح، ولهذا دائماً الملائكة من جملة أذكارهم لله (قُدُّوس قُدُّوس) لأنَّهم وصلوا إلى

---

[1] سورة الحشر/آية/٢٣.

درجة من المعرفة لم يصل إليها إنسان غير المعصوم، فبعض الحُجُب قد رُفِعت عنهم، وباعتبار قُربِهم من الذات المقدَّسة، عاشوا مفردة التقديس للذات الإلهية، والذي لا يمكن أن يكون التقديس إلاَّ له.

لكن إذا اتَّصف به الإنسان، سيكتسب معنىً من معاني التقديس والقدسية، ليس لذاته (أي الإنسان) وإنَّما للمفردة الإلهية التي حملها كفكر وكمبدأ وكرسالة، وكقول وكعمل وكبناء للحياة، وبناء للإنسان وللأسرة وللمجتمع وللأُمَّة بجميع ألوانها.

هذا الاسم الذي هو من أسماء الله ﷻ، يحثُّنا ويدعونا (عَزَّ وَجَلَّ) إلى أن ندخل إليه، يدعونا ويحثُّنا أن نستظلَّ بظلِّه، وأن نتَّخذه خُلُقاً لنا، نتَّخذُه صفةً نتَّصِف بها، نتَّخذُه فكراً يملأُ عقولنا وقلوبنا ونفوسنا.

فالإنسان عندما يتوجَّه إلى الله ﷻ الذي هو السلام، ويعمل من أجل أن يدخل إلى داره، إلى تربيته، إلى ثقافته، ويكون جادَّاً في ذلك، فبالتأكيد سيُقدِّم دواخله لله ﷻ، يُقدِّم قلبه لله ﷻ، كما هو أراد (سبحانه وتعالى)، وقد قال (سبحانه وتعالى) في الحديث القدسي:-

﴿ما وَسِعَتْنِي أرضي وسمائي وَوَسِعني قلب عبديَ المؤمن﴾[1]

إذن، هو (عَزَّ وَجَلَّ) أراد أن يكون قلب عبده المؤمن به، بيتاً له، ومَن قدَّم قلبه بيتاً لله ﷻ، وارتضى أن يكون قلبُه بيتاً من بيوت الله ﷻ، فبالتأكيد سيكون عامراً بثقافة السِّلْم والسلام، لأنَّ مَن أحبَّ

---

[1] موسوعة السيد عبد الحسين شرف الدين/ج٨/ص٤٥.

اللهﷻ، فلا يبقى أيُّ مكان في قلبه لأن يكرهَ أحداً أو يعاديَ أحداً.

من هنا، جاء التأكيد على مفردة: أنَّ السلام اسم من أسماء الله، وضرورة أن نربط ما بين اسم اللهﷻ الذي هو السلام وما بين الدعوة الإلهية إلى دار السلام، يعني: الدار الإلهية، يعني: الحياة التي أرادها الله (تَعَالَى) للإنسان.. لأنَّ الحياة هي ظرف حسب ما يوضع فيه، فإن وضعنا فيه ثقافة وتربية إلهية، ستكون الحياة حياة إلهية، وإن وضعنا عكس ذلك فستكون حياة بعيدة عن اللهﷻ.. إذا وضعنا فيه السلام، فستكون علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان على أساس السلام، وإن ابتعدنا عن ذلك، فستكون العلاقة بعيدة عن السلام، تبتني على أُسس الأنا والذات والمصالح وحبِّ الدنيا بكلِّ أشكاله وصورِهِ، البعيدة عن القِيَم.

السلام.. أمر إلهي

نرى بعض الآيات الكريمة وكأنَّها ترتفع بالدعوة الإلهية إلى مستويات أعلى في مسألة السلام، إلى درجات أسمى وأعلى.. هذا المستوى الأعلى والدرجات الأعلى هو انتقال الآيات من مبدأ (الدعوة والحثِّ على السِّلْم والسلام) إلى (الأمر بالسِّلْم والسلام).

كأنَّ مسألة الحثِّ والدعوة مسألة تأهيلية، وبعد الفترة التأهيلية، وبحسب الحكمة الإلهية جاء الأمر الإلهي: بضرورة دخول الجميع إلى السِّلْم والسلام، وكأنَّه (سبحانه وتعالى) يريد أن

يقول: إنَّ مفردة السِّلْم والسلام (هذا المبدأ وهذه القاعدة) هي ليست من حقِّ الإنسان أن يأخذها أو يرفضها، لأمرين:

الأمر الأول: إنَّ الإنسان له مالك وله خالق وله مكوِّن وله صانع، فعندما يأمره خالقه ومالكه ومكوِّنه وصانعه عليه أن يمتثل.

الأمر الثاني: إنَّ مفردة السِّلْم والسلام لها أطراف متعدِّدة وليس طرف واحد، فَمَن لا يحمل السلام، لا تكون سلبيته على نفسه فقط، وإنَّما سلبيته على نفسه وعلى غيره، يعني: مَن لا يحمل السلام، سيحمل فكر التعدِّي والعدوان على الآخرين، وهذا ما لا يمكن أن يرضاه ربُّ العالمين، ولا أن يرتضيه.

وعندما نقول: الدرجة الأعلى من الحثِّ والدعوة هو الأمر، بالتأكيد هو ليس الأمر الإجباري، لأنَّ الله تعالى من تكريمه للإنسان لم يجعله مجبوراً بل جعله مختاراً، وكما بيَّنَّا من أجل أن يقتنع، ومن أجل أن يتبنَّى، ويتمكَّن من بناء نفسه وأسرته ومجتمعه والناس جميعاً، ولهذا الأمر الإلهي هنا أمر تشريعي، ويبقى على الإنسان مدى استجابته أو عدمها.. هذا الأمر نفهمه من الآية الكريمة في سورة البقرة عند قوله (عَزَّ مِن قائل):-

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]

الآية الكريمة تتصدَّر بقوله **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ)**، الرأي السائد

[1] سورة البقرة/آية/٢٠٨.

في هذه الفقرة المباركة (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**)، من آمنَ باللهﷻ واستجاب لرسالاته، فهؤلاء -(دائماً)- يكونون مستمعين ومصغين ومتوجِّهين إلى النداءات الإلهي، إلى الأوامر الإلهية، إلى مفردات التربية الإلهية، ولهذا يكون الخطاب موجَّهاً لهم.

والرأي الذي نتبنَّاه، وهو لا ينافي الرأي الأول وليس في قبالة الرأي الأول، وإنَّما فهم للإيمان بشكل أوسع، من أجل أن نُوسِّع رقعة الخطاب الإلهي ضمن (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**)، فنقول: إنَّ الإيمان مسألة فطرية، وعندما تكون مسألة فطرية فهي موجودة في كلِّ إنسان، فهي في الإنسان عند تكوينه، وضمن فِطرته، وهذا هو معنى الآية الكريمة التي تشير إلى الفِطرة والتي تقول:-

﴿فِطْرَةَ اللّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ﴾[1]

هذه الفطرة هي: الإيمان، هذه الفِطرة المقصود منها في الآية الكريمة هي: مفردة الإيمان، والتي هي موجودة عند الإنسان وضمن خَلْقه وتكوينه، والذي يدلُّ على أنَّ مسألة الإيمان مسألة فِطرية قول النَّبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) المشهور:-

﴿كلُّ مولود يولد على الفطرة﴾

إذن، الفِطرة (فِطرة الإيمان) هي مسألة ضمن خَلْقه وتكوينه، هنا نصل إلى أنَّ النداء الإلهي بقوله (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**)، هو

---

[1] سورة الروم/آية/٣٠.

يشمل الناس جميعاً، يشمل كلَّ مَن آمن، وباعتبار أنَّ الفِطرة مسألة ضمن التكوين فتشمل الناس بأكملهم.

فقرة (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**) تشمل مَن يحمل مبدأ الإيمان ولو ضمن فِطرته، هذا من حيث الدليل، ويمكن من حيث الواقع الخارجي هناك دليل واضح عليه، وهو: أنَّ مَن كان يعبد (والعياذ بالله) الأصنام وما شابه وشاكل ذلك، كانوا يقولون كما وَرَدَ في بعض الآيات القرآنية من أجل أن يُقرِّبوهم إلى الله زلفى، إذن هم يؤمنون بوجود الله ﷻ، ولكن لا يعرفون كيف يعبدونه، وكيف يهتدون إليه، وهذا يُؤكِّد أنَّ مسألة الإيمان هي مسألة فِطرية، إذن فعندما يقول: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**)، يخاطب الناس جميعاً.

المطلوب في هذا الخطاب بعد عموميته للناس، للبشرية، بشكل كامل:-

﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾

(**ادْخُلُوا**) فعل أمر، ومن الواضح أنَّ فعل الأمر يعني (الإلزام بلغة القانون)، و(الوجوب بلغة الفقه والشريعة)، ليس على أساس الجبر للإنسان، وإنَّما على أساس أنَّ السعادة المرجوَّة للإنسان في الحياة الدنيا لا يمكن أن تتوفَّر إلاَّ بدخوله إلى السلام، إلى دار السلام، وإلى مبدأ السلام.

ولهذا الآية تُلزِم الناس، تأمرهم، توجِب عليهم (**ادْخُلُوا فِي**

السِّلْمِ كَآفَّةً).

الدخول في أيِّ صفة، في أيِّ مبدأ، في أيِّ ثقافة، معنى الدخول فيها يعني: حَمْلها، والذي يعني:

أولاً: التخلُّق بها.

ثانياً: أن يتعامل بها الإنسان مع الآخر وكلِّ الآخر.

ثالثاً: أن يعمل الإنسان من أجل نشرها وتعميمها وإشاعتها.

رابعاً: لابدَّ أن يخرج الإنسان معها وبها من حيِّز النظرية إلى حيِّز التطبيق.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

كلمة **(كَآفَّةً)** تعني: العمومية، تعني: الشمول، تعني: البشرية، تعني: الناس جميعاً، فالمنهج الإلهي والتربية الإلهية هي لصالح الإنسان فرداً ومجتمعاً، وكيفما كان هذا الإنسان، سواءاً كان من الدين الإسلامي العظيم أو من الديانات الأخرى، لأنَّ اللهﷻ يقول لنبيِّه الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):-

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]

ويقول النَّبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن نفسه:-

﴿أنا الرحمة المهداة﴾

إذن، فالمنهج الإلهي بالوقت الذي لا يجبر الإنسان على

---

[1] سورة الأنبياء/آية/١٠٧.

الامتثال وجعل له الخيار والاختيار، ولكن هذا المنهج الإلهي هو من أجل سعادة الجميع، من أجل سعادة البشرية، من أجل سعادة الناس أجمعين، ولهذا نرى أنَّ الخطاب الإلهي به كلمة (**كَآفَّةً**)، هذا من جانب..والجانب الآخر: كأنَّ الآية تريد أن تشير إلى أنَّ الإنسان، إمَّا أن يكون من دين الإسلام، فالإسلام يأمره بذلك، والله ﷻ الذي بعث كلَّ الرسالات السماوية هو يقول للإنسان: لو كنتَ من أبناء ديانات أخرى، فكلُّ الديانات هي تدعو إلى السِّلْم والسلام.. وكذلك إذا لم تكن (أيُّها الإنسان) من أبناء ديانات سماوية، أو كنتَ بعيداً عنها، ولكنك إنسان، وللإنسان قِيَم، ومن القِيَم المُتَسَالَم عليها عند الإنسان السويّ هي: مفردة السِّلْم وعدم الاعتداء.. إذن لابدَّ من دخول كافَّة الناس، ولابدَّ من دخول جميع الناس، والاستجابة من الكلِّ لهذا المبدأ الإلهي الذي هو: ثقافة السلام.. ففي الآية التي نفهم منها الإلزام والأمر، كذلك تُبيِّن لنا سلبية عدم الالتزام عندما تقول:-

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

دائماً الله، الربّ، ربّ العالمين: هو رمز الخير عند كلِّ الديانات.. والشيطان: هو رمز الشرِّ والعدوان والاعتداء والتسلُّط والديكتاتورية والغَصْب.. كأنَّ الآية الكريمة تريد أن تقول:

إذا لم تستجيبوا وتمتثلوا للإلزام الإلهي، فلم يبقَ إلاَّ أن

تَسلُكوا (بإرادتكم أو بعدم إرادتكم) طريق الشـرِّ، يعنـي: طريـق العداء، يعني: طريق التخاصم، يعني: طريق الفتنة، يعني: طريـق الاقتتال، وهذا ما نراه في مجتمعاتنا، لماذا؟!.. لأنَّها ابتعـدت عـن ثقافة السلام، عن تربية السماء.. ابتعدت عـن القِـيَم الإنسـانية، وبذلك ابتعدت عن مفردات الأخلاق الأساسية، والتي على رأسـها السِّلْم والسلام.

الفصل الرابع

المبحث الثاني

كوْنُ.. المَحبَّة والسَّلام

كَوْنُ.. المحبَّة والسلام

بدايتنا.. محبَّة

تعايشنا مع الآيات الكريمة التي أمرت وحتَّمت على الناس جميعاً، على البشرية بكلِّ أبنائها، وألزمت على المؤمنين: مبدأ السلام، ثقافة وفكراً وقولاً وعملاً وسلوكاً ومنهجاً وبناءاً للحياة، وكانت الحكمة الإلهية تقتضي: أن تبدأ بالدعوة إلى السلام، ومن ثمَّ الإلزام بالسلام... فكانت الدعوة بالسلام (**وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)، وأكَّدنا أنَّ هذه الدعوة هي نتيجة أنَّ اللهﷻ اسمه السلام.

ولهذا دعا إلى اسمه الشريف، إلى اسمه المبارك، إلى هذه الصفة المقدَّسة التي هي عين ذاته. وهذه الدعوة الإلهية، ومن ثمَّ الأمر والإلزام من ربِّ العالمين، يأتي لأمرين أساسيين:

الأمر الأول: هو المحبَّة، فاللهﷻ (وكما ذكرنا ذلك في كُتُبنا) خَلَقَ الخَلْق لأنَّه أحبَّه، ولو لم يحبّه لما خَلَقَه، واستدللنا على ذلك بالحديث القدسي الذي يقول:-

﴿كنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أن أُعْرَف فخَلَقتُ الخَلْق لكي أُعْرَف﴾[1]

---

[1] الشافي في شرح الكافي/خليل القزويني/ج١/ص٩١.

إذن، مسألة الخَلْق، فكرة الخَلْق، مبدأ الخَلْق، قام على أساس الحبِّ الإلهي...

واجب الوجود الذي هو الله ﷻ ليس بجسم، ولا بهيكل، ولا بذات أبعاد، ولكنَّ حبّه يتجلَّى لقدرته وصفاته، والإنسان بعض قدرة الله ﷻ.

بتوضيحٍ آخر نقول: إنَّ الله ﷻ لا يمكن أن نتصوَّر منه إلاَّ المحبَّة ولا نتصوَّر منه الكره، لأنَّه تقدَّست ذاته مصدر الخير والعطاء والنَّماء، فحبُّه لمظاهر قدرته، باعتبار أنَّ أعلى مستويات مظاهر القدرة التي نحن نفهمها، هو: خَلْق الإنسان، فحبُّه حبٌّ لا يشابهه أيُّ حبٍّ آخر، لأنَّه ليس كمثله شيء. ولذلك هو (سُبْحَانَهُ) واجب الوجود.

تلك من الأبحاث الفلسفية، ونحن في موضوع السلام وبحثنا للسلام لسنا في جوانب وبحوث فلسفية، ولكن من أجل تأكيد فكرة إيمانية ثقافية، نقترب بهذه الفكرة من ضرورة اقتران الحبِّ مع وجود الإنسان، فأصل وجوده بسبب حبِّه.

وإذا أردنا أن نوضِّح العبارة: من أجل التقريب يمكن أن نقول: (**كنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أن أُعْرَف**) أي: فأحببتُ أن أَخْلُقَ الإنسان من أجل أن يعرفني.. إذن، قدرته عين ذاته، فحبُّه لإظهار قدرته هو حبٌّ لذاته، بهذا يتوضَّح بدرجة معيَّنة مفهوم الحبِّ الإلهي لخَلْق الإنسان.

ما أهون السلام.. على المُحبِّين

الذي نريد أن نُؤكِّد عليه في مجال السلام:

إنَّ وجود الإنسان هو نتيجة الحبِّ، ولهذا لا يمكن أن يكون السلام سلاماً يملأُ الدواخل من الفكر والنفس والروح والمشاعر، ويملأُ الخارج على مستوى الكلمة واللفظ والقول والحرف، ويملأُ الخارج السلوكي على مستوى العمل والتحرُّك والأخلاق إلاَّ بالحبِّ والمحبَّة.. من هنا تأتي ضرورة أن نُؤكِّد على أهمية تفعيل ثقافة المحبَّة مقترنة بالسلام.

مقابل الحبِّ من اللهﷻ للإنسان، وبسببه خَلَقَ الإنسان، كذلك أودعَ ضمن فِطرة الإنسان وغريزة الإنسان وعقل الإنسان، مبدأ الحبِّ للهﷻ، ولكنه حبٌّ بشكل آخر، حبٌّ يُمثِّل العبودية والطاعة والاستجابة والتفاعل مع اللهﷻ، تفاعل الإنسان بكلِّه، هذا الحبُّ الإلهي وضمن الحكمة الإلهية زرع في نفس خَلْقه: المحبَّة له، ولهذا النصُّ القرآني يُعبِّر عن العلاقة ما بين اللهﷻ وخَلْقه:-

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1]

كأنَّ حبَّ الإنسان للهﷻ مسألة فِطرية، مسألة غريزية، مسألة يحكم بها العقل، ولها أسباب كثيرة لسنا بصدد تعدادها ولكن نذكر واحدة منها، وهي:

---

[1] سورة المائدة/آية/٥٤.

جعل في الإنسان شعور المحبَّة لِمَن تفضَّل عليه، وجعلها مسألة غريزية، والله ﷻ أوجدَ الإنسان من العدم، نقل الإنسان من العدمِ إلى الوجود، إذن يشعر الإنسان بأنَّ الله ﷻ متفضِّل عليه، وهنا تأتي ضرورة أن الإنسان يعيش الحبَّ لله ﷻ، فالآية الكريمة عندما تقول:-

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

تقرير واقع، لكن هذه الفِطرة ومن ثمَّ الغريزة: مرة يلتفت إليها الإنسان ويُفعِّلها ويُنمِّيها ويُطوِّرها ويجليها ويصفيها.. ومرة يهملها.

أولاً: إذا التفت الإنسان إلى هذه الفِطرة، عاش هذه الحقيقة، وهي: المحبَّة لله ﷻ.

ثانياً: إنَّ الله ﷻ عندما خَلَق الإنسان محبَّة له، وغرس فيه حبَّ الله ﷻ، أراده أن يكون دائماً متعايشاً مع الله ﷻ، أراده دائماً أن يكون قريباً لله ﷻ، يعني: قريب له (سبحانه وتعالى)، قريب من خالقه، من مكوِّنه، من مصدر وجوده.

الفصل الرابع

المبحث الثالث

السلام.. إيمانياً واجتماعياً

السلام.. إيمانياً واجتماعياً

هنا يُطرَح سؤال: كيف يمكن أن يكون الإنسان قريباً من الله ﷻ؟!.. الله ﷻ ليس بجسم، فقرب الإنسان إلى الله ﷻ، توجُّهه إلى الله ﷻ. توجُّهه إلى الخالق، هذا التوجُّه لابدَّ أن يتمَّ على أساس إيماني، ولابدَّ أن يتمَّ على أساس حياتي عقائدي. لأنَّ الله ﷻ عندما، خَلَق الإنسان، جعله خليفة.. ومفهوم الخلافة مفهوم عقائدي، وليس مفهوماً مادياً، وجعل الرابط الأساس في علاقة الإنسان ومعايشته مع الله ﷻ الإيمانية والعقائدية هي: السلام.. ولهذا دعى إليه، وبعد ذلك أمرَ وألزمَ به، وكلما تكون مسؤولية حمل الرسالة الإلهية أكبر، يحتاج الإنسان إلى درجة كبيرة من حَمْل مبدأ وثقافة السلام.

يعني: كلَّما حمل الإنسان رسالة السلام أكثر، يحتاج إلى علاقة مع الله ﷻ أقوى، وإلى فهم للمجتمع أوسع، باعتبار أنَّ السلام: إيمانياً في علاقته مع الله ﷻ. والسلام: اجتماعياً لبناء حياة مجتمعية عادلة، فكلما تكون المسؤولية أوسع، الله ﷻ يريد من حامل هذه المسؤولية أن يحمل درجة أعلى وأعمق من ثقافة السلام.

السلام في علاقة الإنسان مع الله ﷻ هو بمعنى: الاستسلام.

السلام: في علاقة الإنسان مع الإنسان الآخر هو بمعنى: بناء حياة مجتمعية عادلة.

عندما كان حجم المسؤولية، يستدعي عمق فهم السلام، لهذا حمل الأنبياء والمرسلون السلام بأعلى الدرجات.. هذا السلام الذي يتمثَّل:

أولاً: في إيمانهم بالله ﷻ، وعلاقتهم مع الله ﷻ، واستسلامهم للأمر الإلهي، وتنفيذهم للتربية الإلهية.

ثانياً: بعد ذلك سلامهم مع الإنسان الآخر.. فهي مسألة لابدَّ أن تتناسب: السلام والاستسلام لله ﷻ، والسلام ما بين الإنسان وبين الإنسان الآخر.

ملّة إبراهيم عليه السلام .. ملّة السلام

نرى أنَّ كلَّ الأنبياء عاشوا مفردة السلام بأعلى درجاتها، ومنهم: أبو الأنبياء إبراهيم(عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم) عاش مفردة السلام في أروع صورها، عاش مفردة السلام بأصعب مفرداتها، عاش مفردة السلام وهي جزء من الحكمة، وعاش مفردة السلام وهي المفردة الأساس للتعاليم الإلهية، وعاش مفردة السلام في تزكية نفسه.. والتزكية: من معانيها الصفاء، الصفاء ما بينه وبين الله ﷻ، والوضوح الكامل ما بينه وبين الله ﷻ، والتزكية من معانيها: نكران الذات، والابتعاد الكلّي عن الأنا والأنوية، من

أجل أن يعيش السلام ما بينه وبين الإنسان الآخر.

لهذا نرى أنَّ الآيات التي تقول:-

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]

(**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**): تعليم الكتاب يحتاج من الإنسان: الإيمان الكامل بمن أرسل الكتاب. يعني: السلام بداخلك، السلام ما بينك وبين اللهﷻ، تعليم الكتاب يحتاج ترجمته بالحياة عندما يتعلَّمه، يعني ذلك: يبرمج علاقتك مع الإنسان الآخر.

(**وَالْحِكْمَةَ**): هذه المفردة العظيمة والتي لها تعاريف عديدة، ولكن من أوضح هذه التعاريف: وضع الشيء في محلِّه، بعض التعاريف من ناحية تعطينا مفهوم إيصال مفردات الأمر الإلهي والتربية الإلهية إلى المجتمع من دون إزعاجهم.

ومن مفاهيم الحكمة أيضاً: الصبر والتحمُّل.

إذن (**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**) يعني: يعمل من أجل طهارة دواخلهم، وبالتأكيد أنَّ مسألة الحكمة وقدرة الإنسان على تزكية نفسه، والعمل من أجل تزكية الآخرين، لا تكون إلاَّ بالعلاقة المُكثَّفة ما بين الإنسان وبين خالقه وربِّه وموجده ومكوِّنه،

---

[1] سورة البقرة/آية/(١٢٩-١٣٠).

والمعايشة المستمرة مع حالة الإيمان بالله ﷻ.

فالحكمة والقدرة على التزكية هي أنوار إلهية، فهي من الأنوار التي يقذفها الله ﷻ بقلب مَن يشاء. والإشاعة لا يمكن أن تأتي اعتباطاً، وإنَّما تأتي نتيجة استيعاب المتلقِّي لها، وقدرته على تحمُّلها، ومن ثمَّ قدرته على تفعيل ما عنده من أجل الآخرين.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]

بمعنى: أنَّ الله ﷻ دائماً هو المتفضِّل على عبيده، حيث أنَّ الآية القرآنية تقول:-

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2]

فهو مصدر العزِّ، إذن هو العزيز، وباعتباره مصدر العزِّ. وإذا أراد الإنسان العزَّ، فلا يمكن أن يجده إلاَّ عند الله ﷻ، هذا المعنى الذي قاله أمير المؤمنين الإمام عليُّ بن أبي طالب عليه السلام:-

﴿من أراد عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته﴾

يعني: من ذلِّ العدوان على النفس، من ذلِّ العدوان على الله ﷻ، من ذلِّ العدوان على الإنسان الآخر، (**من ذلّ معصية الله إلى**

---

[1] سورة البقرة/آية/١٢٩.

[2] سورة فاطر/آية/١٠.

عزِّ طاعتـه) يعني: السلام، والذي هو من أسـماء الله ﷻ، وكأنَّـه يدخل إلى كَنفه، إلى ظلِّ الله ﷻ، إلى ولاية الله ﷻ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾

الحكيم من الحكمة، ولهذا مَن يحمل شيئاً من الحكمة، يكـون قد أخذها من الحكيم، ولهذا تتوقَّد إلى حالة صفاء ما بينك وبينـه، سلام ما بينك وبينه، حالة استسلام كامل ما بينك وبينه.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]

(مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ) هي: الإيمان بالله ﷻ، وهي: فطرة الإنسـان، فكما أنَّ السلام من فِطرة الإنسان، كما أنَّ المحبَّة لله ﷻ هـي مـن فِطرة الإنسان، فالذي يبتعد عن مسألة الإيمان والسلام والمحبَّـة، فذلك يكون نتيجة **(سَفِهَ نَفْسَهُ)**، نتيجة عدم التفاته لواقعه، لدواخله، لحقيقته، لإيجاده، لوجوده، لحياته ودوامها وما ستؤول إليه.

هذا الإنسان لديه كلَّ القابليات، ولكنه من دون فكر ومن دون عقل، ولهذا يُهدِّم العلاقة ما بينه وبين الله ﷻ، من سلام واستسلام، ويُهدِّم العلاقة ما بينه وبين الإنسان الآخر، من سلام إلى عـدوان، ومن مَحبَّة إلى كُرْه.

---

[1] سورة البقرة/آية/(١٢٩-١٣٠).

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

نتيجة علاقته مع الله ﷻ، ومعايشته لله ﷻ بالسلام والاستسلام، الله ﷻ قرَّبه إليه، وبعد التقريب اصطفاه، فقد رأه (سبحانه وتعالى) أهلاً لأن يصطفيَه، لقد رأه بعيداً كلَّ البعد عن (سَفِه نفسه)، وقريباً كلَّ القرب إلى مبدأ الاستسلام لله ﷻ والقدرة على أن يكون السلام مفردة حياتية لبناء المجتمع.

﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

دائماً الاصطفاء في الدنيا تكون نتيجته: الخير في الآخرة، حيث أنَّ الله ﷻ اصطفاه نتيجة تقريبه، قرَّبه ورأى منه صدق الاستسلام ثمَّ اصطفاه.

امتحانات.. مدرسة السلام

ذكرنا أنَّ الإنسان كلما يكون أكثر مسؤولية سيكون أكثر حاجة إلى تجسيد السلام والاستسلام ما بينه وبين الله ﷻ، حتَّى يكون أقدر على تجسيد السلام أكثر ما بينه وبين الإنسان الآخر لبناء المجتمع، لهذا كان من الحكمة الإلهية أن يمتحن الله ﷻ إبراهيم عليه السلام، من أجل أن يرى مستوى تحمُّله لمبدأ السلام والاستسلام لله ﷻ.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ

اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]

أراد منه (سبحانه وتعالى) أن يترجم السلام ما بينه وبين الله ﷻ، وكما بيَّنا أنَّ السلام ما بين الإنسان وربِّه هو: الاستسلام، ولهذا استسلم لله ﷻ وبأعلى الدرجات.

وكان من أبرز صور السلام والاستسلام ما بين إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام، صاحب مدرسة الأنبياء، من أبرز هذه الملامح وهذه الصور هو: ما ينقله القرآن الكريم عن موقفه عندما أُلقيَ في النار، من قبل إرهاب الكفر الذين هم أعداء الله ﷻ، أعداء الإنسان وأعداء السلام.

ولهذا كانت النتيجة:-

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٢]

كانت النتيجة: أنَّه أُلقِي في النار، وهو يعيش حالةً، غايةً في الاطمئنان، غايةً في السلام العملي ما بينه وبين ربِّه، وكذلك غايةً في السلام العملي ما بينه وبين أعدائه، الذين هم أعداء إيمانه وأعداء مبدئه، الذين هم أعداء الإنسان وأعداء الحياة، الذين هم رواد الاستعباد والديكتاتورية والصنمية، الذين هم مدرسة **(أَنَا رَبُّكُمُ**

---

[١] سورة البقرة/آية/(١٣٠-١٣١).

[٢] سورة الأنبياء/آية/٦٩.

الأَعْلَى)[٢]، ألقوه في النار ولكن كان في غاية الاطمئنان، بل والسعادة، لأنَّه يعلم أنَّه بعين الله ﷻ.

تنقل الآثار الواردة:-

﴿جاءه جبريل عليه السلام فقال له: سَلْ؟.. قَالَ: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي﴾

وهكذا أُلْقِيَ إبراهيم في النار ولكن نزل إلى أرض مملوءة بالخير والزرع والماء والبركات، لأنَّه يحمل السِّلْم والسلام في علاقته مع الله ﷻ، وكذلك في علاقته مع أعدائه الذين هم أعداء الله ﷻ، أعداء الإنسان، الذين هم أعداء الحياة، وأعداء حقوق الإنسان.

---

[٢] سورة النازعات/آية/٢٤.

خلاصة الفصل الرابع

١-من الأُسس الإسلامية: أنَّ "السلام" أحد الأسماء الحُسنى لله ﷻ، لذا ينبغي بالإنسان المؤمن أن يجعل موضوع السلام مبدأً له، لكي يعيش حالة السلام بكل تفاصيل حياته.

٢-إنَّ الاقتناع بمبدأ السلام وتبنِّيه عملياً، سيقود الأفراد والجماعات لبناء مجتمع متكامل مُتكافل مُتعاونِ مُتراحم مُتواصل، وبذلك سيُطبِّق الإنسانُ مبدأَ السلام كواقع حياتي.

٣-لقد أراد الله ﷻ من الإنسان أن يُقِيم حياةً مستقرَّةً يسودها التعاون والرحمة وغيرهما من القِيَم النبيلة، لأنَّ الإنسان هو خليفة الله ﷻ في الأرض، وينبغي بهذا الخليفة أن يُقِيم الحياة الإنسانية التي أرادها الله ﷻ أن تكون على الأرض.

٤-إنَّ الاعتقاد بأهميَّة السلام في حياة الإنسان والمجتمع ليست أمراً اختيارياً متروك للإنسان، وإنَّما هو أَمْرٌ من الله ﷻ، لذا يجب على الإنسان طاعته وتنفيذه، وليس للإنسان الحقّ في ترْك هذا الأمر جانباً، لأنَّه أَمْرٌ يُلزِم الإنسان بالطاعة.

٥-إنَّ الله ﷻ يأمر الإنسان التخلُّق بالسلم والسلام، ولا يكون التخلُّق بالسلم والسلام، ما لم يكون هناك اعتقاد ذاتي وعميق بمبدأ

السلام، أي إيمان الإنسان بِقِيَم السلام.

٦-الإسلام وكل الديانات الأخرى تدعو الإنسان للسلام وتدعوه للسلم، حتى يعيش الإنسان حياته آمناً مطمئنَّاً على حاضره ومستقبله أيضاً.

٧.على الإنسان السوي أن يُؤمِن أنَّ حُبَّ اللهﷻ له، هو الذي أخرجه من العدم إلى الوجود، وأراد اللهﷻ أن يُعَرِّفَ نفسه للإنسان، فَخَلَق الخَلْقَ، لذا فكلُّ الكون يدور في دائرة المَحبَّة والسلم والسلام.

٨-قُرب الإنسان من اللهﷻ ليس قُرباً مادياً كقُرب الأماكن أو الموجودات، وإنَّما يكون هذا القُرب المقصود قُرباً معنوياً أو روحياً من اللهﷻ.

٩-عندما يتمسَّك الإنسان بالإيمان، فهو يَعصِم نفسه من الوقوع بالضلالة، وبالعكس عندما يقع الإنسان في الضلالة فإنَّه يكون قد (**سَفِهَ نَفْسَهُ**)، كما عبَّر القرآن الكريم عن ذلك.

١٠-يمتلك الإنسان عقلية جبَّارة وهبها اللهﷻ له، وعندما يُوقِف الإنسان العمل بهذه المَلَكَة الربَّانية، فإنَّه يهدِم العلاقة بينه وبين اللهﷻ فإنَّه يترك حالة السلام والاستسلام مع اللهﷻ ويدخل في حالة التقاطع والتباعد عن اللهﷻ.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول	٩
المبحث الأول	١١
نحو.. سلام داخلي	١٣
السلام.. سرُّ السعادة	١٣
حتَّى لا يكون سلامنا.. مهزوزاً	١٦
من أمثلة.. السلام العملي	٢٣
المبحث الثاني	٢٧
السلام.. يبني أُمَّة	٢٩
النفس.. ما بين التعليم والتربية	٢٩
لا ازدواجية.. إذا انتشر السلام	٣٢
ما هو المطلوب.. من الناس كافَّة؟!..	٣٦
المبحث الثالث	٤١
أهل السلام.. أنصار الله	٤٣
السلام.. راية أهل الإيمان	٤٥
خلاصة الفصل الأول	٤٩
الفصل الثاني	٥٣
المبحث الأول	٥٥
السلام فطرة.. يُغذِّيها ذِكْر الله ﷻ	٥٧

السلام.. سعادة للدنيا ونعيم للآخرة	٦١
المبحث الثاني	٦٥
للسلام.. مفهومان	٦٧
لماذا ردُّ السلام.. واجب؟..	٧١
المبحث الثالث	٧٣
السلام.. أول بلا بداية	٧٥
إبراهيمﷺ.. أول مَن نادى للسلام	٧٥
السلام.. للخالق وخَلْقه	٧٧
المبحث الرابع	٨١
المسلم مَن سَلِم الناس من يده ولسانه	٨٣
حتى نرد التحية.. بالأحسن	٨٣
للتحية والسلام.. آداب إلهية	٨٧
خلاصة الفصل الثاني	٩٣
الفصل الثالث	٩٥
المبحث الأول	٩٧
السلام: إيمان.. ثقافة.. أخلاق	٩٩
شريعة.. الاحترام والسلام	١٠١
السلام.. يحتاج تغافلاً	١٠٤
المبحث الثاني	١٠٩
ناشئة السلام.. هم رجال السلام	١١١
المبحث الثالث	١١٥
السلام.. مساواة لا طبقية	١١٧
اللهﷻ السلام.. كلَّفنا السلام	١١٧

المبحث الرابع	١٢٣
السلام.. سُنَّة محمَّدية	١٢٥
زيارات.. السلام	١٢٧
السلام.. دعوة إلهية مستمرة	١٣٠
خلاصة الفصل الثالث	١٣٧
الفصل الرابع	١٣٩
المبحث الأول	١٤١
الحياة الإلهية.. في دار السلام	١٤٣
السلام.. أمر إلهي	١٤٧
المبحث الثاني	١٥٥
كون.. المحبَّة والسلام	١٥٧
بدايتنا.. محبَّة	١٥٧
ما أهون السلام.. على الـمُحبِّين	١٥٩
المبحث الثالث	١٦١
السلام.. إيمانياً واجتماعياً	١٦٣
ملَّة إبراهيم عليه السلام .. ملَّة السلام	١٦٤
امتحانات.. مدرسة السلا	١٦٨
خلاصة الفصل الرابع	١٧١
الفهرس	١٧٣

سلسلة كتب ومؤلَّفات سماحة المَرجِع الديني آية الله الفقيه السيِّد حُسين الصدر (دام ظلُّه)، فيما يخصُّ مفاهيم السلام والتعايُش السِّلمي والمواطَنة الصالحة في إطار العراق الواحد المُوحَّد.